جامعة قاصدي مرباح –ورقلة–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة: فلسفة

الميدان: العلوم الاجتماعية

التخصص: فلسفة عامة

الموضوع

نقد فلسفة التسامح عند جون لوك

إعداد الطالبين: – آسيا حمداوي

– حدة حمداوي

إشراف د: عاشور بن قويدر

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر أكاديمي

نوقشت علنا يوم : ../../2019

بحضور اللجنة المكونة من

د محمد الصديق بن غزالة ..... رئيسا

د. عاشور بن قويدر.....مشرفا

د. أحمد زيغمي .....مناقشا

الموسم الجامعي2018-2019

شكر وتقدير

ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمتها عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحا ترضاه

والشكر الحمد لله الهادي عليه إعتمادي إليه مبدأي و معادي أن وفقنا لإتمام هذا العمل

المتواضع نتوجه بآيات الشكر وخالص الثناء ومواقف التقدير والعرفان إلى الأستاذ

المشرف بن قويدر عاشور الذي كان له الفضل في إنجاز هذا العمل مراجعة وإشرافا

كما يتوجب الشكر لكافة أساتذة قسم الفلسفة

وفي الأخير الشكر لكل من مدَّ لنا العون في إنجاز هذا العمل ولو بنصيحة فلكم منا جزيل

الشكر و الإحترام .

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم" وَقُلِ اعْمَلُوا

فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ"

(صدق الله العظيم)

أهدي ثمرة عملي هذا إليك يا من أحمل اسمك بكل افتخار ويا من وكله الله بالهيبة والوقار, و يا قدوتي ونبراسي الذي ينير دربي فمهما وصفت فيك ,أو عبرت عن مشاعري فلن أوفيك حقك ,يا من أدين لك بحياتي أبي الحبيب ,إلى من علمتني أن الحب ليس له عمر وان العطاء ليس له حدود إلى سر نجاحي و قرة عيني وسر نجاحي أمي الحبيبة.

وإلى الإخوة كل بإسمه ,إلى روح المرحوم عمي "محمد" والي كل روح شاركتنا بالدعاء ,

إلى كل من علمني حرفا فصرت له عبدا أساتذة الفلسفة الكرام .

حمداوي حدة

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم" وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ"

(صدق الله العظيم)

أهدي ثمرة عملي هذا إلى من وكله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء دون إنتظار أي من أحمل إسمه بكل افتخار والدي العزيز, إلي ملاكي في الحياة و معنى الحب والحنان أمي الغالية ,إلى الإخوة كل باسمه وأخص بالذكر أخي وأبي الثاني محمد , وإلى كل من علمني حرفا فصرت له

عبدا أساتذة الفلسفة الكرام .

حمداوي آسيا

مقدمة

في ظل دراسة فلسفة العصر الحديث وفي القرن السابع عشر تزامنا مع بداية الصراع الذي شهدته أوربا آنذاك , بدعوة التجديد وتطور النزعة الإنسانية, و إنطلاقا من العقل الذي كان له الدور البارز في القضاء على الخرافة والتعصب، وفي خضم هذا ظهر فلاسفة التنوير داعيين لتجديد ورافضين كل ما هو تقليدي .

ويعد الفيلسوف الانجليزي جون لوك* (**jhon lcoke** 1632 -1704) أحد أعلام عصر الأنوار ،الذي أحدثت فلسفته عدة حركات على المستوى الفكري فغيرت الكثير فيه ،فقد فتمحورت فلسفة لوك على الأخلاق بوجه عام وإهتمت بوجه خاص لموضوع التسامح، إذْ أعتبر هذا الأخير محل إهتمام لوك،وهذا لكون لوك أراد من التسامح أن يكون قاسما مشترك بين الأفراد ،وحتما عليه ستتلاشى كل مظاهر التعصب والتطرف ،غير أن كل ما قام به لوك من إرساء معاني التسامح والتعايش ،من خلال رسالته المعنونة ب (رسالة في التسامح)،لم يكن يشفي غليل الفلاسفة فظهر فلاسفة ولهذا نادى غيره من الفلاسفة بأطروحات مغايرة لأطروحته كما سنرى لاحقا.

ولقد تناولنا في بحثنا إشكالية نقد فلسفة التسامح عند لوك.

فكيف طرح جون لوك مشكلة التسامح ؟وما هي الانتقادات التي طالت طرحه ؟

ونتج عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات.

---

*جون لوك (1632_1704)ولد الفيلسوف التجريبي الانجليزي جون لوك في قرية سومر ست ، في صيف1632) واشتهر كفيلسوف حين نشره لمؤلفه المعروف، (مقال في الفهم البشري)كما آلف العديد من الرسائل وهي: رسالتان في الحكم المدني، ورسائل في التسامح ،(جون دن ،**جون لوك مقدمة قصيرة جدا** ، تر:فايقة جرجس حنا ،مر:هبة عبد المولى ، مؤسسة هنداوي ، الفاخرة ،د ط،2012ص 15_30).

-ما مفهوم التسامح ؟

-فيما تمثلت فلسفة التسامح عند جون لوك ؟

-ما هي جملة الآراء المخالفة لطرح لوك في التسامح وما هي نقائص طرحه ؟

ومن الدواعي التي أدت بنا لإختيار موضوعنا هي الرغبة في الإطلاع على الفلسفة الغربية الحديثة عموما و فلسفة جون لوك خصوصا، وكذا الميل لمفهوم التسامح كونه مبدأ إنسانيا يدعو للتعايش والسلم،بالإضافة إلى قلة الدراسات و الأبحاث التي تناولت موضوع التسامح من وجهة نقدية.

عند دراستنا لهذا الموضوع واجهتنا بعض العراقيل تمثلت في : صعوبة تحديد مفهوم موحد للتسامح لكونه مصطلح حديث و وكذا قلة الدراسات السابقة المتعلقة بنقد التسامح .

ولتحليل موضوع بحثنا أعتمدنا على المناهج التالية .

المنهج التحليلي النقدي :أتبعناه من أجل تحليل وفحص أفكار جون لوك في التسامح من خلال مؤلفاته ورسالته .

المنهج التاريخي :إعتمد ناه من أجل تتبع مراحل تطور مفهوم التسامح وأسباب ظهوره .

ولمعالجتنا لهذا العمل تتبعنا الخطة المكونة ؛ من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

حيث مهدنا للموضوع في المقدمة وكذالك أسباب إختيارنا للموضوع، وكذا تحديد الإشكالية بالإضافة لجملة الصعوبات التي واجهتنا ، وتطرقنا أيضا للمناهج المستخدمة في البحث.

أما في الفصل الأول المعنون بالتسامح بين المفهوم والتاريخ الذي به مبحثين ؛المبحث الأول تناولنا فيه مفهوم التسامح من الناحية اللغوية و الإصطلاحية،وفي المبحث الثاني فتطرقنا فيه لتاريخ التسامح.

فقد حاولنا في الفصل الثاني توضيح بفلسفة التسامح عند جون لوك والذي أحتوى على ثلاث مباحث؛ في المبحث الأول مفهوم التسامح عند جون لوك ، و في المبحث الثاني مبادئ التسامح عند جون لوك ،والمبحث الثالث عرضنا مظاهر التسامح عند جون لوك .

أما بالنسبة للفصل الثالث وعنوانه الآراء المخالفة لفلسفة التسامح عند جون لوك، والذي قسمناه إلى ثلاثة مباحث ،فتمثل المحبث الأول في فلسفة التسامح عند فولتير ،أما في المبحث الثاني فعرضنا فيه فلسفة التسامح عند جون ستيوارت ميل ،أما المبحث الثالث فهو كان بمثابة تقييم ونقد و لآراء لجون لوك.

وأخيرا الخاتمة تضمنت نتائج المتوصل إليها من الدراسة والبحث .

الفصل الأول : التسامح بين المفهوم والتاريخ

المبحث الأول : مفهوم التسامح

المبحث الثاني : تاريخ التسامح

المبحث الأول : مفهوم التسامح

إحتوت الفلسفة على العديد من المواضيع والمباحث المختلفة منها الدينية والسياسية ...الخ وإعتبرتها من أهم مقوماتها ،ويعد موضوع التسامح أحد المواضيع التي حضت بالبحث والتفكير الفلسفي ، وهذا يتجلى من خلال التباين حول ضبط مفهومه وتأصيله التاريخي، وعلاقته بالفلسفة. وفي بادئ الأمر سنتطرق في تحديد معنى فلسفة التسامح من خلال الفصل بين المفهومين ،أي كل مفهوم على حدى، فالفلسفة كما عرفها أرسطو بقوله ***:بأنها العلم بالأسباب القصوى؛،علم الموجود بما هو***[1].ونجد كذلك إبن سينا يعرفها : ***بأنها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه*** [2]ومنه فالفلسفة وعلاقتها بالتسامح تكمن في إعتبار الفلسفة مهمتها البحث عن الحقيقة ولا تدعي إمتلاكها ، ويعتبر التسامح أحد مقوماتها في التفلسف ، فهو بالضرورة يعترف بالتعدد و الإختلاف، بحيث أن الفلسفة بهذا المعنى تعد ميدانا للإجتهاد، والتسامح يتحقق في الإجتهاد إذْ هو مجاله الطبيعي ،ومبدأ كل مجتهد مصيب.[3]

إن الفلسفة تقوم على الإختلاف،وتتسم بالنسبية وكذالك تعترف بحرية التفكير والتجديد وتقبل الآخر مهما كان تفكيره ،بمعنى أن التفكير الفلسفي إعتمد على الشك والأخذ بنسبية الحقيقة هو التسامح بعينه ؛ فهو الإعتراف بالإختلاف وبمشروعية الخلاف[4] وبعدما تعرفنا على علاقة التسامح بالفلسفة،و سنتطرق لمفهوم التسامح من الناحية اللغوية والإصطلاحية.

---

[1] جميل صليبا،**المعجم الفلسفي**.ج2، دار الكتاب ،بيروت ، د ط ، 1982، ص 16.

[2] المرجع نفسه ، ص 16.

[3] محمد عابد الجابري،**قضايا في الفكر المعاصر**،مركز الدارسات الوحدة العربية ، بيروت ،ط1 ، 1994،ص20.

[4] المرجع نفسه، ص20.

أولا : لغويا

إتسم مفهوم التسامح كغيره من المفاهيم الفلسفية التي عرفت تعدد في المعاني ،إذو في هذا الصدد سنتطرق لتحديد المعنى اللغوي للتسامح .

التسامح في اللغة الفرنسية (**toernce**) وفي اللغة الانجليزية (**tolrotion**)، فهو يأتي بمعنى (سمح) السماح والسماحة، الجود، سمح به، يسمح بالفتح فيهما سماحا و سماحة، أي جاد و سمح له، أي أعطاه و سمح ظرف صار سمحا، بسكون الميم و قوم سمحاء ، بوزن فقهاء،إمرأة سمحة بسكون الميم، و نسوة سماح بالكسر و المسامحة هي المساهلة ، أي تسامحوا ، تساهلوا.[1]

تسامح في الشيء أي تساهل فيه. كما جاء في لسان العرب أن التسامح مشتقة من السماحة أي الجود ويقال سمح واسمح إذا جاد وأعطى واسمح سامح :أي وافقني على المطلوب ويقال أسمحت نفسه :إذا انقادت و المساهلة :المسامحة[2] , كما وردت كذلك لفظة التسامح بمعنى :سمح ككرم ،سماحا وسماحة ومسوحا و ممسوحة وسمحا و سماحا ككتاب:جاد وكرم ،و التسميح : السير السهل و أسمحت قرونته:ذلت نفسه والدابة لانت بعد استصعاب وعود سمح :لا عقدة فيه و أبو سمح : خادم النبي، صلّ الله عليه وسلم .[3]

ثانيا :إصطلاحا

أما من الناحية الإصطلاحية للتسامح فيعرف على أنه :

---

[1]أبي بكر الرازي ،**مختار الصحاح**، د ط ، 1329هـ ، ص 83.

[2]إبن منظور, **لسان العرب** ،ج2،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط 1،2003، ص589.

[3]محمد الدين إبن يعقوب الفيروز أبادي ،**القاموس المحيط**،مؤسسة الرسالة لطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،ط 8 ،2005، ص 225.

التسامح حسب ما جاء في موسوعة لالاند الفلسفية على أن:" لفظة التسامح ولدت في القرن السادس عشر من الحروب الدينية بين الكاثوليك و البروتستانت، فقد إنتهى الأمر بأن تساهل الكاثوليك مع البروتستانت ،و بالعكس ثم صار التسامح يرتجى تجاه جميع الديانات و كل المعتقدات و في آخر المطاف في القرن التاسع شمل التسامح الفكر الحرّ."[1]

ويقدم لنا صليبا معنى التسامح فيرى:"أنه إحتمال المرء بلا إعتراض كل إعتداء على حقوقه الدقيقة بالرغم من قدرته على دفعه ،أو هو تغاضي السلطة بموجب العرف و العادة ،عن مخالفة القوانين التي عهد إليها في تطبيقها."[2]

نجد كذلك التسامح عند علماء اللاهوت هوّ :الصفح عن مخالفة المرء لتعاليم الدين ""[3] أي أن التسامح هو الصفح ، ويعرفه أيضا (أدمون جوبلو) أنه :"عدم التخلي عن المعتقدات الخاصة أو الإمتناع عن إظهارها والدفاع عنها أو نشرها ، بل هو الإمتناع عن جميع الوسائل العنيفة أو المهينة أو المؤلمة ،فالتسامح هو إقتراح الآراء أو عرضها دون السعي على فرضها على الآخرين."[4]

" و التسامح يعني سعة الصدر تفسح للآخرين أن يعبروا عن آرائهم وإن لم تكن موضوع تسليم أو قبول، ولا يحاول صاحبه فرض آرائه الخاصة على الآخرين. "[5] التسامح يتجلى في تقبل رأي الآخر وإحترام حريته في التفكير و العقيدة ، وعدم المساس به بدعامة أنه مخالف لنا ، بمعنى أنه ليس من الضروري إن لم نكن مؤيدين لرأي ما نعرض صاحبه للهجوم والرد ،علما أن التسامح ينشئ عن الإختلاف والتعدد ويسود بوجود ثقافته لدى الأفراد.

---

[1] أندري لالاند ،**موسوعة لالاند الفلسفية**، المجلد 1,منشورات عويدات بيروت ،ظ2 ، 2001، ص1460.

[2] جميل صليبا ،**المعجم الفلسفي**،ج1، دار الكتاب العالمي ،بيروت ،د ط ، 1993ص271.

[3] المرجع نفسه الصفحة نفسها .

[4] عبد الرحمان بدوي، **ملحق موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية لدراسات و النشر، بيروت ، ط 1، 1992،ص 58.

[5] إبراهيم مدكور ،**المعجم الفلسفي**، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ،د ط ،1993 ،ص 44.

فالتسامح كما يقول(ألبير ميمي) :" بيد أن المحك الحقيقي للتسامح هو كيفية تدبير الإختلاف في مجتمع التعددية ؛كما يسميه (مايكل والزر) بمجتمعات الهجرة ،فترجمة التسامح تعينت في مقولات الإعتراف بالغير وفي الإحترام المتبادل و قيم الغيرية والتعايش."[1]

ويؤكد لالاند :"أّن لفظ التسامح هو إستعداد عقلي أو قاعدة مسلكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه ." [2]أما كرناب فيعرف لنا التسامح على أنه "يعني الطابع النسبي للغة،إستنادا لهذا المبدأ يحوز لكل شخص تأسيس لغة خاصة بشرط أن يستخدمها إستخداما منسقا، ومن ثم فليس في وسع المنطق أنْ ينهي عن إستخدام لغة معينة مادامت تلتزم القواعد التي وضعتها بدقة".[3]

فالجرجاني في مؤلفه كتاب التعريفات يقدم لنا التسامح : "بمعنى هو إستعمال اللفظ في غير الحقيقة، بلا قصد علاقة معنوية ولا نصب قرينة دالة عليه،إعتمادا على ظهور المعنى في المقام فوجود علاقة بمعنى التسامح أي يرى أن أحد لم يقبل قولك ، رأيت أسدا يرمي في الحمام والتسامح لا يعلم الغرض من الكلام ويحتاج في فهمه إلى تقدير لفظ آخر. "[4]

يعد الجابري من بين المفكرين العرب المعاصرين ,الذي عرف لنا التسامح بالمعنى الأخلاقي" التسامح موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية و العملية التي تصدر من الغير سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا.و" التسامح هو أيضا القدرة على إحترام الإختلاف مما يؤدي إلى إمكان ممارسة الأفراد و الجماعات للعلاقات في جو من المساواة

---

[1]محمد سبيلا ونوح الهر موزي، **موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية و الفلسفة**،منشورات المتوسط ،المغرب ،،ط1 ،2017 ،ص 133.

[2] أندري لالاند ، المرجع السابق ،.ص1460.

[3]مراد وهبة ،**المعجم الفلسفي**،دار قباء الحديثة لنشر والتوزيع ،القاهرة ، ط 1 ،2007 ، ص186.

[4]علي بن محمد الجرجاني، **كتاب التعريفات** ، د م ، د ط ، د س ، ص 22.

وينطوي هذا المعنى على كون المتسامح فيه غير مقبول عن المتسامح من حيث الأصل لكنة قبل به لإستمرار التعايش مع الآخرين."[1]

كما هو جدير بالذكر هنا في مفهوم التسامح من وجهة نظر الإسلام بإعتباره أنه جاء داعيا لتسامح ،على غرار الديانات السابقة عنه بيدا أن هذه الأخيرة وردت فيها لفظة التسامح بعينها، وهذا يؤكد على أن شعوبها كانت تفتقر له ؛أما في الإسلام فهو لم يظهر كلفظ ولكون الإسلام دين سمح ويدعو إلى كل ما فيه خير فذكر فيه التسامح بعديد من المرادفات له.

نستدل على عدم معنى التسامح في القرآن ليس الإستكانة وذلك لقوله تعالى:" ﴿حَتّى إذا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وجَدَها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِيئَةٍ ووَجَدَ عِنْدِها قَوْمًا قُلْنا يا ذا القَرْنَيْنِ إمّا أنْ تُعَذِّبَ وإمّا أنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾﴿قالَ أمّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إلى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذابًا نُكُرًا﴾﴿وأمّا مَن آمَنَ وعَمِلَ صالَحًا فَلَهُ جَزاءُ الحُسْنى وسَنَقُولُ لَهُ مَن أمْرِنا يُسْرًا﴾[2]

الدليل على أن التسامح في القرآن ليس معناه التسوية في المعاملة بقوله تعالى:" ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأعْمى والبَصِيرُ أفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾[3] , كما تعد لفظة التسامح قريبة من لفظتي العفو والصفح، وهاتين اللفظتين وردتا في أكثر من موضع في القرآن الكريم وكلها فيم تحث على التعايش مع الغير رغم الإختلاف العرقي أو العقائدي ،ومن نص القرآن يكون الدليل قي قوله تعالى : " وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ

[1] بلال صفي الدين ،**مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية** ، **مفهوم التسامح في الإسلام وعلاقته بمفهوم الواجب** , دراسة تطبيقية ،جامعة دمشق ، 2009 ،ص 3.

[2] الكهف \ 85_88.

[3] غافر \ 58 .

وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (22)[1]

التسامح أيضا هو "إستعداد نفسي وسلوك ناتج عن هذا الإستعداد لتفهم رأي وموقف الآخرين المغايرين في الإعتقاد والتصرف ،ومهما كان هذا الرأي أو السلوك متنافيا مع ما نعتقده[2]ويؤكد لالاند أن لفظ التسامح هو إستعداد عقلي ،أو قاعدة مسلكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد، حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه ."[3]

والتسامح هو"أن نمتنع عن غصب الآخرين على إعتناق أرائنا ،أو قهرهم على التخلي عن أرائهم ، أو الإستهزاء بوجهة نظرهم و القدح فيها، أو نهجوهم من حق و باطل ، ويوجب التسامح إحترام أرائهم وضمان حريتهم في التعبير."[4]

والتسامح لا يراد به أن تتخلى عن أرائنا ولا ندافع عنها عندما ننتقد من غيرنا ،وليس المراد منه كذالك بأن نسلم بموقف الآخر وهو مخطئ ، ونحن على صواب ، بل يتوجب علينا أن نسلم بأن الحقيقة ليست ملكية لأحد،بل هي متاحة للجميع وفيها يتجلى الصواب ويغيب الخطأ.[5]

---

[1]النور \ 22.

[2] عبد الرحمان بدوي ،المرجع السابق ،ص 58.

[3] أندري لالاند ،**موسوعة الفلسفة**، المجلد الأول ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط2 ،2001 ,ص140.

[4]عبد المنعم الحفنى ،**المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية** ،مكتبة مدبولي ،ط3 2000 ، ص173.

[5]المرجع نفسه الصفحة نفسها.

التسامح عند مراد وهبة " هو السماح بحرية العقل أو الحكم على الآخرين ،وهذا التعريف يكشف عن إحدى السمات الهامة للتسامح ،وأعني بها الحرية * بيدا أن الحرية ليست مطلقة وألا فإنها تولد التعصب والحرية منذ فجر الحرية منظمة " .[1]

التسامح هو الترجمة العربية لمصطلح (**tolerance**) بمعنى تسامح ،تساهل، وtolerantمتسامح ،رحب الصدر أو وسعيه .[2]

*الحرية :بوجه عام ؛ تعني حال الكائن الحي الذي لا يخضع لقهر أو غاية ،ويفعل طبقا لطبعة إرادته وتتصدق على الكائنات الحية، جميعا من نبات وحيوان و إنسان ، ومن صور الحرية الإنسانية ،الحرية السيكولوجية و الحرية السياسية والاجتماعية.(إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي ،مرجع سابق ، ص 71.)

[1]مراد وهبة ،**التسامح الثقافي**،(مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،1987) ، ص 155 .

[2]Dictionary English ,oxford p127

المبحث الثاني:تاريخ التسامح

يرى بعض الفلاسفة أن المجتمع البشري قام في بداياته على التضامن والتكافل، الذي يوفر لها مصالح يشترك فيها أفرادها بالتسوية ،سواء كانت هذه القيم ضرورية في الإنسان أو لمصلحة ذاتية، فإن هذا فالإنسان لا يستطيع أن يعيش إلا في تكوينات إجتماعية تتكافل فيما بينها على توفير مستلزمات الحياة ،ليكون هذا الإجتماع مهما كان صغيرا الحاضنة التي تمثل الضمانة الأهم في حفظ مصالح أفرادها وحقوقهم.[1]

فمن هنا نجد بأن مفهوم التسامح عرف كفعل منذ الحضارات القديمة التي ساهمت في تطوير هذا المفهوم، حيث تطور وأخذ بعدا أخلاقيا و فلسفيا معا، فمن بين هذه الحضارات نجد الحضارة المصرية القديمة(الفرعونية)التي كانت تعرف بإختلاف الديانات، إلا أنها تميزت بفضيلة التسامح قبل أي شعب من الشعوب الأرض،فنجد في أرض الكنانة ديانة أزيس وآمون، كما شاعت في مصر القديمة عبادة الطوطم ، حيث آمنوا بإله الشمس(رع)الذي يعتقد بأنه ملك مصر، ثم تحولت إلى عبادة آمون ثم آتون، ثم أمنحوتب الذي رفع من قدر هذا المعبود الشمسي ،حيث أجبر كهنة أمون على أن يعترفوا به على أنه أحد المعبودات، فتسامحوا معه وقبلوا ببناء معبد له مع نوع من الحذر والتحفظ، ولكن سرعان ما ظهر أخناتون الذي أعلن عن صفات معبدوه الجديد، إلا أن كهنة آمون لم يقبلوا هذه الصفات ، وعلى هذا تصدى لهم أخناتون بعنف وقسوة على الرغم من مسامحتهم لمعبوده ،فهو أول من طالب بتوحيد الدين بالرغم من تعدد الديانات وإختلافها في مصر ،إلا أن ، قدماء مصر في التسامح كمفهوم لم يتسامحوا مع فكرة التعددية المذهبية الدينية.[2]

---

[1]ماجد الغرباوي،**التسامح و منابع اللاتسامح**، المرجع السابق ص9.

[2]مسدوة وهيبة،**خطاب التسامح في فكر الأنوار**، منشور،كلية العلوم الاجتماعية، جامعة السانية وهران، سنة 2010-2011،ص ص 52-55.

وعند المجيء إلى الحضارة الهندية ،فنجد منها البوذية التي تميزت بالتسامح ،فنجد فيها بوذا الذي يؤكد على تحمل البغضاء والتسامح مع الأذى ،فهذا ليس من أجل بلوغ الكمال وإنما بتسامحنا نؤثر على العالم ،فلذا يجب علينا أن نفرق بين المحبة والتسامح واللاكراهية فهي التي تجعل فينا الهدوء وتوصلونا إليه ،حيث عرفت البوذية بطريقتها المتسامحة مع كل الديانات الأخره والتفسيرات الفردية المختلفة للتعاليم البوذية ،فنجدهم يتميزون بخاصية القبول بالآخر والإعتراف ببعضهم كبوذيين بالرغم من الخلافات الموجودة فيما بينهم في مختلف أماكن العالم ،وعلى الرغم من قدم البوذية إلا أنها لم تعرف للعنف وجودا، ومع هذا نجد أن بوادر وملامح التسامح طفت من خلال نشر تعاليم البوذية ،وعليه فالعنف مناقض لتعاليمها ،لأن بوذا نظرا للتسامح من بابا للأعنف الناتج على التخلص من المعناة.[1]فأما الحضارة الصينية التي تقوم على المبادئ الكونفوشيوسية والتأويه ،عملت على تشكل الحياة الإجتماعية ،لذا من الضروري دراسة الفلسفة الصينية من بابا القيمة التي تميزت بها ،حيث أنها إنطلقت من فكرة أن الناس عظماء بالرغم من إختلاف الفلسفات الصينية ،فنجد أن تعاليم كونفوشيوس التي نادى بها واجهت الإضطهاد من بعضهم والمعارضة لها بالرغم من تقرب علاقاته الحميمية مع أباطرة الصين، كما أنهم لم يتسامحوا مع كتبها التي تعرضت للحرق وحرمت تعاليمه ، وعليه فإنا الصينيون قبل كونفوشيوسية لا يعترفون بحق التدوين إلا أرشيف الحكومات أو بعض شعائر الطقوس فمن يؤلف بمفردها لا مكانة لهم بينهم ،وبالرغم من هذا كله إلا أن كونفوشيوس كان أول مبادر في رفض هذا التقليد، حيث أسند مهمة الكتابة لنفسه من أجل توعية معاصريه بالمبادئ الأخلاقية ،فمن هنا نرى بأن الفلسفة الصينية عامة و الكونفوشيوسية خاصة تحترم التناقض لكن في إطار التكامل، ففي الغالب ننظر إلى المبادئ نظرة معارضة إلا أن الفكر الصيني ينظر لها على أنها الخلافات التي تتميز بالتكامل لا تناقض، حيث نرى بأن التوافق.[2]

---

[1]مسدوة وهيبة، **خطاب التسامح في فكر الأنوار**، المرجع نفسه ،ص ص 58-59.

[2]المرجع نفسه ،ص59.

بين الأفكار المعارضة في الفلسفة الصينية ،يمكنه أن يظهر في أنماط من الحياة العملية وهذا من أجل الوصول بهم إلى طريق موحد ،فالبوذية مثلا بالرغم من عدم إنسجامها بالتأويه و الكونفوشيوسية إلا أنها وجدت موطنا مرحبا بها في الصين، فمن خلال ما ذكرناه نجد بأن موقفها ما هو إلا موقف تركيبي يدعو للتسامح حول ما يفكر به الآخرون وما يتلونه من آراء ،كما أنه يدعو إلى للأعنف بالرغم من الإختلاف الموجود.[1]وبالرجوع للإسلام الحنيف نجد أن مبدأ فكرة التسامح تتضمن في نقطتين أولا الإنسانية ، إذ أن الإنسان هو مخلوق مكرم من عند الله وقد كانت هاته الفكرة الإنسانية الإسلامية ملتقى الأفكار والمفاهيم بين أصل النظر ،أما النقطة الثانية فهي تحقيق الوجود الفاعل للإنسان الذي حقق التسامح سبلا للتواصل بين الناس مع إختلاف أفكارهم وتباين إتجاهاتهم ، ويحقق اكتشاف القيم المشتركة العابرة للحدود التي ترسمها اختلافات الدين والثقافات ، مع تأكيد أن الإسلام لا يكتفي بالتسامح كمذهب ومسلك خلقي مقصود لذاتيه فهو غائي في هذين الغايتين ، تغلب فيه المصالح المادية كما يدعو الإسلام إلى الحوار والتواصل مع الآخر بهدف إنشراع الإنسان من إرهاق المادة والتصور.[2]

فأما بالنسبة للفلسفة الحديثة فنجد بأن التسامح ظهر جليا وإنعكس على الفلاسفة خاصة المحدثون الغالب عليهم الطابع العلمي، أي أنهم علميون في موقفهم ونظرتهم ،حيث نرى بأن اللاهوت لم يعد يضع حدود لتفكير الفيلسوف المحدث ،لأنهم تحرروا من سلطة الكنيسة ، فلم يعد لدين أن يتدخل في فكره ليحد من حريته، فمن هنا لا تكون خادمة للدين ،حيث أن الفيلسوف الحديث لم يعد يخشى التأمل بشجاعة أكثر من العلماء فلذا لجأ إلى تنظيم نتائج العلوم الطبيعية المختلفة و الإجتماعية للعالم وجعلها في صورة من قيم الفن والأخلاق والدين كما انه تميز بحبه للجمال وإحترامه للفضيلة الشخصية ،فمن هنا فهو لا يمكنه أن يسلم

[1] مسدوة وهيبة،**خطاب التسامح في فكر الأنوار**، المرجع السابق ، ص60.

[2] عبد الواسع محمد غالب الغشيمي ،د:أمير فاضل سعد،**التسامح الإسلامي قراءة في معطياته الفكرية وآثاره الواقعية في ضوء الكتاب والسنة** ،مجلة التشريعية والدراسات الإسلامية، العدد(21)الموافق ل 1434هـ- 2013م،ص ص 19-22.

ببساطة لتشجيعه على هذه القيم ووجودها فعليه أن يعرف الأشياء كما هي، حيث ظهرت حركة واسعة لإحياء الآداب اليونانية و للاتينية فهي ترتكز على الإنسانيات ،مما أدى لتميز الفكر الفلسفي الحديث بنزعة فردية فالمفكر الحديث فردي ويمكنه وضع تجاربه بنفسه ،إضافة إلى حركة الإصلاح الديني التي تهدف لتجديد الدين المسيحي والتخلص من هيمنة الكنيسة الكاثوليكية والتي تزعمها الألماني مارتن لوثر*،[1]حيث نجد هوبز الذي يرى بأنه لا دين إلا ما ترضاه الحكومة ولا حقيقة إلا ما ينادي بها السلطان لكي يتمتع الإنسان بالسلم والأمن ،ويجب عليه أن يتخلى عن حقه المطلق للسلطة المركزية أو الهيئة العامة لتحل السلطة السياسية محل الحياة الطبيعية الخالية من العنف والخوف.[2]وعليه نجد عصر التنوير الذي شكله نقلة تاريخية في تاريخ الحضارة الأوروبية ،فهي معركة قادها مفكرون وفلاسفة كبار من أجل تحرير بلدانهم من الأخطاء وتحرير الفكر من التعصبية السائدة مع القبول بالآخر المغاير ومحاربة العنف ليحل محله التسامح ،حيث نجد من بين الفلاسفة الذين نادوا بالتسامح في هذا العصر جون لوك الذي برز كإسم لامع في عصر الأنوار ، حيث سعى لتأسيس التسامح الديني الذي يراه حسب الكنيسة الكاثوليكية بأنه السماح السلبي للشر، كما ميزه بين الدين والسياسة أي فصل بينهم لكي يضمن حق كل فرد على الرغم من خلافاتهم وإختلاف دياناتهم في المجتمع الواحد، حيث يقول بأن التسامح ليس ضد الدين ولا العقل بل هو الحل العقلاني لتجاوز الصراع المذهبي الذي يزرع بذور الشقاق داخل المجتمع.[3]

---

*مارتن لوثر(1546-1483): كاهن ولاهوتي ألماني ،يعتبر أحد زعماء حركة الإصلاح، ومؤسس المذهب البروتستانتي اللوثري قام بترجمة الإنجيل إلى الألمانية، وأنكر رجال الكنيسة الكاثوليكية ونقد نظرية القانون الطبيعي.(رونالد سترومبرج ، تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ترجمة أحمد الشيباني، دار السعودية للنشر والتوزيع، جدة ، بدون طبعة، ص 759)

[1]وليم كلي رأيت ،**تاريخ الفلسفة الحديثة**، تر: محمود سيد أحمد ،التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2010،ص ص22-25.

[2]المرجع نفسه،ص88

[3]مسدوة وهيبة ،**خطاب التسامح في فكر الأنوار**، المرجع نفسه،ص ص102-103.

الفصل الثاني : فلسفة التسامح عند جون لوك

المبحث الأول : مفهوم التسامح عن جون لوك

المبحث الثاني : مبادئ وحدود التسامح عند جون لوك

المبحث الثالث : مظاهر التسامح عند جون لوك

المبحث الأول : مفهوم التسامح عن جون لوك

تميز عصر التنوير*بالإ يمان بقدرة العقل، وعلى أنه مفتاح كل شيء وكونه السبيل الوحيد الذي يهتدي به الإنسان وبفضله تمكن من التخلص عن قيود المسحية وقمعها، وكذلك أدى به لتحكم في نفسه ، وهذا ما دفع الفلاسفة بشن حرب فكرية ضد كل ما هو غير عقلاني ونبذ التعصب إضافة إلى أنه أعطى سبل جديدة لتحقيق لمنفعة البشرية ،[1]ومن بين تلك السبل نجد التسامح الذي نادى به العديد من فلاسفة التنوير مثلما فعل جون لوك (1632-1704). فكان جون لوك في قلب تلك العملية التاريخية و عضوا فاعل فيها ،لأن جيله وعصره كان بحاجة ماسة إلى من يبصره في الشؤون المجتمعية الملحة ،حيث أنه أضفئ الكثير لجيله في فترة كادت تنعدم فيها قيم الحرية والمساواة كما ضلت تفرض نفسها، حيث تمثلت في زعزعة النظامين السياسي والاقتصادي،[2] فألف الفيلسوف الإنجليزي رسالة في التسامح باللاتينية عام 1685ضد المناخ الطائفي الفكري المصحوب بالإضطهاد الديني في القرن السابع عشر[3]، فنشر جون لوك رسالته الخالية من إسمه وكتبها بعدما فرًا لكي يلتحق بزميله شافتسيري*الذي حرضه على تأليفها بحيث كتب الفيلسوف التنويري رسالته تحت عنوان (رسالة في التسامح) وبعد تأليفه لهذه الرسالة تعرض لنقد و تلقى العديد من الهجمات

عليها،إلا انه لم يقف حسب هذا،بل إصر لوك لكتابة رسالته ثانية وثالثة و أما رسالته الرابعة فوافته المنية قبل أن ينشرها. [4]

---

*عصر **التنوير**:تيار سياسي واجتماعي حاول ممثلوه إصلاح المجتمع بتغير أخلاقه وسياسته وأسلوبه في العيش، وكان إتباعه يقولون أن للوعي الدور الحاسم في تطور المجتمع (رونالد سترومبرغ **تاريخ الفكر الأوروبي الحديث**،تر:احمد الشيباني، (دار القارئ العربي ،القاهرة ،د ط ،1977)، ص784.

[1]محمد محمود سيد احمد، **أعداء الحوار**، (دار الوعي لنشر والتوزيع الرياض، ط1 ،1424هـ)، ص55.

[2]احمد عبد الله الصعيدي، **ضرورة وحدود التسامح** (في محاولة التسامح الديني) ،ص225.

[3]مراد و هبة ،**المعجم الفلسفي**، (دار قباء الحديثة لنشر والتوزيع، القاهرة ، ط 1، 2007) ، ص 187 .

[4]جون لوك ،**رسالة في التسامح**، تر: منى أبو سنة ، (المجلس الأعلى لثقافة ، القاهرة ،ط1 ،1997) ، ص7.

وهنا لزاما أن نتتبع السياق الذي كتبت فيه هذه الرسالة (رسالة في التسامح) ، بحيث كانت تلك الفترة تتميز بالفتن والنزعات على المستوى الديني وفيها يتعلق بقوانين الكنيسة وصعوبة التمرد عنها فظهرت الإكتشافات العلمية كالثورة الكوبيرنيكية التي إعتبرتها الكنيسة أنها مست بها ، فكانت الكنسية تعاقب بشدة كل من يخالف تعاليمها أو يحاول أن ينتهك من قداستها مثل ما كان مصير غاليلي*عند رفضه أفكار أرسطو وكذا تأكيده على دوران الأرض تأييدا لما جاء به كوبر نيكوس* فحكمت عليه بالإعدام .وبالإضافة إلى حرب مئة عام (1648-1618)، الحرب الدامية التي كانت بين أبناء الشعب الواحد من أجل فكرة تأويل النص المقدس لعامة الناس فمنهم من نادئ بالفكرة ومنهم من رفضها ،وفي ظل هذا القبول والرفض تولدت عنه تغلغل التعصب والفتن والإنشقاق داخل المذاهب،فأما عن المستوى البرانى فنجدها تمثلت في كتابات ميكافيلي حول الإختلاف بين السياسة والدين إلا أنها لم تساهم بشكل أو بآخر في حل تلك الأزمة السياسية. [1]

تندرج رسالة لوك في التسامح في سياق إعلان البرلمان الانجليزي لتسامح سنة 1686 الذي كان يشمل البروتستانتيين المنشقين عن الكنيسة الانغليكانية* مستثنيا بذلك الفئة التي ينتسب لها لوك ، مع العلم أن الكنيسة البروتستانتية تظم ثلاث ملل ولكل منهم معتقداته الخاصة وهي كالأتي :أولها المنفتحون فهم يزيدون فكرة المحبة والسلم العالمي بين مختلف المذاهب ،وثانيها السيوسييتانيون و كانوا ينبذون فكرة التثليث، (الإله الابن روح القدس) ويؤمنون بوحدة الله ،وثالثها التوحيديون التي كانت رافضة لعقيدة التثليث، كما تندرج هذه

*غاليلي (Galileo1564_1742) :عالم طبيعي وفلكي ايطالي ثار ضد أفكار أرسطو، وهو مكتشف قانون القصور الذاتي ، اعتمد على الملاحظة والتجربة في المعرفة الطبيعية، اصدر كتاب سنة 1632بعنوان" الحوار ".(رونالد سترومبرغ ،تاريخ الفكر الأوربي الحديث، المرجع السابق ،ص729.)

[1] محمد غنام ،**قراءة في رسالة التسامح عن جون لوك**، (مؤسسة مؤمنون بلا حدود لدراسات والأبحاث،2019)،ص5.

* **الانغليكانية** : تمثل الكنائس الانغليكانية المستقلة التي نشأت عن كنيسة انجلترا الرسمية ، وتدين هذه الكنائس بولاء خاص لكبير الأساقفة كنتربري المرجع الديني الأعلى لكنيسة انجلترا ، وذالك بوصفه زعيمها الاسمي فقط ، وكذالك للعقائد والممارسات المحددة في الكتاب الشهير بعنوان ،"كتاب الصلاة العامة " والذي جرى اعتماده من قبل كنيسة انجلترا في القرن السادس عشر .(رونالد سترومبرغ ، المرجع السابق ،ص 689.)

الرسالة في سياق المطالبة بحرية الأفراد وكانت صياغة هذه الرسالة كبيان تنديدي يطلب فيه كل من لم يشملهم التسامح أي فئتي (التوحيديون ،المنفتحون) فيتطلب إندراجهم فيه.[1] أي أنه عندما لم يشملهم التسامح قاموا بالدعوة إليه من خلال التأليف والرسائل بدلا من إستخدام طرق مغايرة تخل من معنى التسامح ،لأن الغاية من التسامح هو القضاء على اللاتسامح وكذالك الكشف عن الخبايا السيئة في ثنايا الأنظمة التي تظهر أنها تحمل التسامح وهي في ذاتها تمارس اللاتسامح .

التسامح الديني عند جون لوك يعني "***أنه ليس من حق أحد أن يقتحم بإسم الدين(الحقوق المدنية) والأمور الدنيوية فإن الحكم ينبغي ألا يحمل في طياته أية معرفة عن الدين الحق***"[2]

إذ يرى لوك أن لا يكون لدولة دين لأنه لا يأتي بأية منفعة للفرد من خلال علاقته مع الله.

ويرى لوك بأن التسامح يتأسس في ثلاثة ضوابط وهي : الخلاص والكنيسة والحاكم المدني ، ففي البداية سنتطرق لخلاص التسامح الذي عادة ما يقترن به مفهوم الخلاص فهو الذي إعتبره لوك أنه ينقلنا من حالة التسامح إلى اللاتسامح ، بإعتبار أن الخلاص هو من يهيئ الأرض لنشوء التسامح ،لأن الخلاص يتأسس عل المحبة والسلم فبواسطته يقوم الفرد بتطهير نفسه من الخطايا دون الحاجة إلى غيره ولا يتأتى من القتل والردع ،وإعتمد من الخلاص إذا افرغ من كل ما يتضمنه مما هو ديني وإخلائه من كل أنواع القهر والقمع والاضطهاد لكونه يتعلق بالفرد ذاته دون سواه، وهذا فيما يتعلق بالصعيد الديني ، أما عن الصعيد السياسي،رأى لوك بأن الخلاص هو الضمان الوحيد لأمن الدولة وإستقرارها، ولذلك

[1]معزوز عبد العلي،**دراسات مدارات التسامح**،(تبيين ،ع 4، 2013) ،ص151.

[2]جون لوك،**رسالة في التسامح**، تر :منى أبو سنة (المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي الإسكندرية ، ط 1 ،1997)،ص8.

يتوجب على الحاكم المدني عدم الخوض فيه لتفادي الإنشقاق والفتن وتركه مسألة شخصية تخص كل فرد بذاته .[1]

ربط لوك مفهوم التسامح بالكنيسة وجعله ميزة لكون الكنيسة مجتمعا حرًا؛ أي أنه مجتمع خالي من كل سلطة وقائم على الحرية ،وكانت الكنيسة قد جعلت من الحرية شرط في الإنتماء إليها،وهذا ما يثبت معنى التسامح ، بيد أن التسامح داخل الكنيسة والذي لا يتم إلا إذا تخلت الكنيسة عن هيمنتها وبقيت في مجالها وعدم فرضها لسلطتها، لكي لا ينقلب الوضع من التسامح إلى اللاتسامح فيعم العنف والقوة ، لتخلص من هذه المظاهر المنافية لتسامح يتوجب الأخذ بالحجج التي تسعى لتعميم ثقافة التسامح وفكرة تقبل الإختلاف ،وهذا ما يؤدي إلى محالة لتقوية رابط الأخوة بين الأفراد،وعليه نجد أن التسامح عند لوك فيه نوع من المقايضة الدينية وهذا من خلال التسامح بين المسيحية والوثنية ، أي أنه لم يتسامح مع الوثنيين بموجب التسامح الحقيقي ،بل هو يهيئ في قاعدة أساسية مفادها حماية الدين المسيحي في المعمورة وضمان التسامح للمسحيين في الأماكن التي تكون الأغلبية فيها من الوثنين .[2]

إحتل الحاكم المدني في طرح التسامح عند لوك مكانة مرموقة لنشره دعائم التسامح ،وهذا من خلال الضوابط التي وضعها له في سلطته وجعل من الالتزام بهذه الحدود تسامح والخروج عنها يعد اللاتسامح وعنف ، وخاصة فيما يتعلق بأمور الخلاص إذ إرتئ لوك أن التسامح يظل قائما مادام الحاكم لم يتدخل في أمور الخلاص وهذا من جهة ، و ومن جهة أخرى عند خضوعه لحدود التسامح فيحقق بذلك التسامح بنوعيه الديني والسياسي وكيلاهما يقوم على الحرية ويعتبرها جوهره .[3]

---

[1]محمد غانم ،**قراءة في رسالة التسامح عن جون لوك** ،المرجع السابق ، ص ص 7-8.

[2]محمد غانم ، **قراءة في رسالة التسامح عن جون لوك**, المرجع السابق ، ص ص 11 -13 .

[3] المرجع نفسه، ص ص 15 --16 .

من المؤكد أن جون لوك يعد من دعاة الليبرالية ،آوى ليس هو من أسس المذهب الفكري الحري ! من خلال تصوره لدين والدولة وضرورة التفريق بينهما وهذا ما أثبتته رسالته في التسامح والتي أعتبرت كسبيل لنشوء العلمانية وكانت دعوته في ذلك لمرجعيته الدينية ،وما يمكن فهمه بأن لوك كان من المتمسكين بالدين وهذا ما أدى به لصياغته من منظور التسامح ،أو بالأحرى العكس أنه أعطى لتسامح صبغة دينية ، إذ إرتأى بأن الدين هو مصدر السعادة وخاصة بأن مذهبه الديني البروتستانتي ما يميزه هو أنه ذو طابع لاهوتي يعتمد على العقل. [1]و في كتابه المعنون ب "معقولية النصرانية "فيخضع النصرانية للعقل و المنطق و إعتبر ذلك كغريزة ،و ذهب ليؤسس مبادئ لنيل الخلاص* وخلود البشرية ،وهي كالتالي :الإعتقاد في السيد المسيح كمسيح ،التوبة ،العفو عن الآخرين, كما أنه كان يرفض كل ما لا يتماشى مع العقل . و يعد لوك من أبرز الأعلام الذين دافعوا عن الدين وكان ينقد كل من كان يجحد وجود الله وهم من أمثال فولتير وغيره من الشكاك .[2]

وهنا يمكن أن نتوصل إلى أن جون لوك من خلال رسالته في التسامح أنها كانت ذات طابع عملي وهذا يتجلى من خلال خلقه من معنى التسامح طريقة ضرورية لتخلص من النزعات التي عرفتها إنجلترا في عصره ،ونتوصل كذلك إلى أن خطابه أو بحثه في رسالة التسامح فيحمل بعد ين الأول سياسي من خلال إستخدامه للفظ الرسالة ،فهذا عادة ما يكون لدى السياسيين،فأما الثاني ففلسفي .[3] كان هدفه من نشر رسالته في التسامح هو القضاء على

---

[1]معزوز عبد العلي،**دراسات مدارات التسامح**، (تبيين ،ع 4، 2013) ،ص151.

*الخلاص(**soiut) f– (solvotioe) e** : هي فكرة قائمة في الديانة البوذية والمسحية ، وهي تعني النجاة من الخطيئة ومن الألم أما ،عند الفلاسفة فتعني السعادة الأبدية (مراد وهبة المعجم الفلسفي ، مرجع سابق ، ص299.)

[2]إبراهيم مصطفى إبراهيم ، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، (دار الوفاء لطباعة والنشر، الإسكندرية ،القاهرة ، د ط ،،2001،)ص ص 96 –94.

[3]محمد غانم ، **قراءة في رسالة التسامح عن جو ن لوك** ،المرجع السابق ،ص

بنية التفكير الأحادي المطلق، وروح التعصب الديني المغلق وكانت مساعيه غالبا ما تنصب على إقامة وبناء الدين في حدودا لعقل إسنادا على الحرية و المساواة.[1]

ويعتبر جون لوك بأن التسامح كغيره من القيم الإنسانية ،ناتجة عن واقع معاش تعددت فيه العوامل الإجتماعية والثقافية ... الخ، مما ساهمت هذه العوامل في صياغة طابع جديد لدى أوروبا، وهّذا بإعتبار أن التسامح ركيزة لأوروبا لخروجها من ذالك التخبط الذي شهادته آنذاك ، و لذا يتوجب التسليم والأخذ به بين الملل والمذاهب المختلفة ، والملاحظ في أن معنى التسامح الحقيقي عند لوك يقوم على أساس النظرة العقلية لدين وبالأصح عقلنة الدين والتخلص من الأوهام الدين المضللة من قبل رجال الدين .[2]

ولهذا نجد أن جون لوك في بنائه لمفهوم التسامح لم يقمه على الكتاب المقدس بل ذهب ليؤسسه على قوام المعرفة الإنسانية والتي ميزتها الأساسية أنها غير مطلقة ومحدودة لكونها تستند على الحدس والبرهان وترك المعرفة الحقة والمطلقة أنها لا تعود ملكيتها لأحد بل هي ملك لله وحده وهذا هو عماد التسامح عنده للمعرفة الحقة ، إضافة إلى ذلك أن التسامح حسبه لم يكن ضد الدين ولا ضد العقل فالتسامح الغاية منه هو إيجاد حل ذو طابع عقلاني لتخلص من الصراعات .[3]

و في هذا الإطار رسالة لوك تعد التسامح ضروري لأمرين وبالأحرى مبررين قدمهم لوك لكتابة رسالة في التسامح أولها يتعلق بالأخلاق بمعنى حرية المعتقدات على الدولة والكنيسة ضمان حقوق والسعي لسعادة الأفراد جميعهم دون تميز فئة عن أخرى ، وكذلك نشر قيم

---

[1]صالح شقير ،ساطع نسيب رضوان ،**تفعيل مفهوم التسامح فلسفيا** ،(مجلة تشرين للبحوث والدراسات العلمية .مج36 ع 5 ،2015) ، ص412.

[2]بن سلمان عمر ، **مفهوم التسامح في الفكر العربي الإسلامي المعاصر** ، **دراسة تحليلية لمفهوم التسامح وتأصيله في التراث**،(منشورة، كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران 2011، دكتورا ء)،ص ص65-64.

[33]بن سلمان عمر ، **مفهوم التسامح في الفكر العربي الإسلامي المعاصر** ، **دراسة تحليلية لمفهوم التسامح وتأصيله في التراث** ,المرجع السابق،ص ص 65 -66.

المحبة والسلم بينهم ويتلخص قوله في أن الدولة والكنيسة قوتان مستقلتان ،في حين أن الدولة هي ترابط وتنظيم سياسي وأن الكنيسة ترابط ديني حر ينشغل ضمن الدولة ،وثانيها يتعلق بالمعرفة وهذا ما يتعلق بالأخطاء التي يقع فيها الإنسان ،أي أخطاء التأمل والمعرفة وإعتبار الفرد عرضه لها وهذا ما يؤدي بالمعرفة أن تكون غامضة وهذا ما يعد مبررا لتقبل من يخالفنا وعليه التسامح يجب أن يسود بين الأفراد.[1] ومن خلال هذه الأسباب التي قدمها لوك يمكن القول على أنها تعد أدلة مقنعة من الناحية النظرية إذ سلمنا أنه شامل لمختلف النحل والملل ،فيصبح كذلك مقبول وأعتبرت رسالة لوك هي المصدر الذي إستوحي منه الدستور الأمريكي عام 1776 ،وهذا من خلال تطرقه للتسامح الشامل لكل المذاهب التي تكون قوامها الأخلاق وهذا ما يجعلهم مواطنون صالحون داخل الحكومة ، وغرضهم الوحيد هو تحقيق الحكم والتشريع السليم.[2]

[1]راوية عبد المنعم عباس ، **جون لوك إمام الفلسفة التجريبية**، مرجع سابق ، ص119 .

[2]إبراهيم مصطفى إبراهيم ،**الفلسفة الحديثة من ديكارت الي هيوم** ,مرجع سابق، ص266.

المبحث الثاني: مبادئ وحدود فلسفة التسامح عند جون لوك:

كما سبق وإن أشرنا إلى جون لوك الذي يعد من أهم دعاة التسامح الديني ،وعليه قام بفصل الدين عن الدولة من أجل بناء مجتمع مدني خالي من التأطير و التسلط الديني ،فهذا ما نجده في رسالة للتسامح ،وعليه فلوك في دعوته لتسامح مره بالعديد من الأفكار أو المبادئ والحدود التي يتوجب إتباعها وهي كتالي:

المطلب الأول : مبادئ فلسفة التسامح عند جون لوك

أولا : الفصل بين مهمة الحكومة المدنية و مهمة السلطة الدينية

يرى جون لوك أنه من البديهي أن نفصل بين مهام كل سلطة على حدى وانْ نسلم بأن الحدود التي بينهما ثابتة وواضحة لا تقبل المساس بها أو أي تغير يطرأ عليها ، يقول جون لوك ***أن غاية أي مجتمع ديني هي عبادة الله وبالتالي نوال الحياة الأبدية ولهذا ينبغي أن يتجه أي نظام إلي تحقيق هذه الغاية ،وإن تكون جميع قوانين الكنيسة محكومة بهذه الغاية***"[1]، فمفادها أن مهمة الكنيسة أو السلطة الدينية لا يجب عليها أن تتجاوز غايتها وهي الحياة الأبدية أو العالم الآخرة لإشتغالها بأمور الدين فقط,أما بالنسبة للسلطة المدنية فمهمتها هي الإشتغال بالأمتلاك والخيرات الدنيوية ،وأن تكون لها السلطة البرانية على رعايتها ،و من صلاحيتها كذلك إستخدام القوة والعقوبات وليست من مهام السلطة الدينية ،كما أنها تهتم كذلك بالتملك للخيرات التي تكون تحت سلطان الحاكم المدني وتشريعه وقوانينه ،وعليه فلا يمكن لأي مجتمع مدني أو سياسي أن يقوم إلا إذا كانت لديه القوة أو السلطة للمحافظة على الملكيات ومعاقبة المعتدين عليها، لأنها تعد من أهم الركائز لتشكيل مجتمع سياسي. فبفضلها تسهل على الحاكم المدني أداء مهامه بجدارة [2]،فمن واجبه

---

[1]جون لوك ،**رسالة في التسامح**، المصدر السابق ، ص 30

[2]جون لوك ،**الحكومة المدنية**،تر: محمود شوقي كبال ، الدار القومية للطباعة والنشر، د م ، د ط ، د س ،.ص75.

كذلك تطبيق القوانين دون استثناء لحماية الضمانات التي تسمح لكل الناس على وجه العموم و الفرد على وجه الخصوص بالإمتلاك العادل للأشياء الدنيوية[1]

فيما سبق أشرنا إلى الفصل بين الكنيسة والدولة التي دعا إليها جون لوك ،لأن الأول متعلقة بالحياة السماوية والثانية متعلق بالحياة الدنيوية ،فمن هنا فالفرد يولد ملكا للوطن لا ملك الكنيسة ولا يدخلوها طوعا.[2]وبحيث أن الناس يولدوا أحرار داخل أوطانهم ،ولا منتميين أو متحيزين لكنيسة ما ،ولهم تابعين للدولة وعلى هذا فالدولة لا تقوم على مبدأ الدين ولا أساسه ،بل تراعي كفالة مواطنيها وإستمتاعهم بحقوقهم ،فأما الكنيسة فلا علاقة لها بأمور الدولة فهي تحكم نفسها بنفسها بالعقيدة والعبادة؛إلا أن تدخل الكنيسة في فعبادة الفرد لا تكون بالفرض أو الإجبار بل بالحرية، وعلى هذا فالدولة تشترط على الأفراد سلامة الدولة من خلال عدم إلتحاقها بتصرفاتهم ،وأن التحيز لمذهب ما محرم عليها كدولة تحكم مواطنين يختلفون بإختلاف مذاهبه ،حيث يرى لوك هنا كلما كان المذهب الديني أقرب إلي الحق كان أبعد عن حاجته في مساعدتها لدولة له ويتضح هنا أن الكنيسة كلما كانت أقرب لدين الحق كانت قوية ويزداد إنفصالها عن الدولة. [3]

---

[1]جون لوك،**رسالة في التسامح**،المصدر السابق ،ص24.

[2] يوسف كرم ،**تاريخ الفلسفة الحديثة**، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة ، القاهرة ، د ط ، 2012 ، ص145.

[3]زكي نجيب محمود ،**قصة الفلسفة الحديثة**، مطلعة لجنة التاليف ، والترجمة والنشر، القاهرة ، د ط ،1936 ، ص ص 199_200.

ثانيا: خلاص النفوس ليس مهمة الحكومة المدنية والسلطة الدينية فهي أمر موكول للإنسان ذاته

يرى جون لوك بأن الفرد يتميز بخلاص نفسه وحريته، حيث يعتبرها أمر موكول له بذاته، أي ليس من حق أي أحد إن يتدخل فيه وكل أموره يديرها بنفسه وذلك لإعتبار إن الرعاية التي تكفلها السلطة المدنية والسلطة الدينية كما جاء في قوله :"***رعاية الشؤون المدنية وتنميتها بحيث لا تعتمد هذه الرعاية بأي شكل من الأشكال إلى خلاص النفوس.***"[1]ومن هنا فالحاكم لا يصلح بأن يتوسع في تنظم نجاة النفوس وخلاصها فهي ليست من صلاحيته، فبناء على ما سبق نجد أن جون لوك قدم أسباب أو دواعي تثبت ما سبق قوله وهي كالآتي:

1-خلاص النفوس ليس من شأن الحاكم المدني أو أي إنسان آخر

أي أن الحاكم ليس مفوضا من الله لخلاص نفوس البشر، فالله لم يكلف أي إنسان على ذلك ،أي بمعنى آخر هذا ليس من صلاحيات الحاكم المدني أن يتدخل في رعايا النفوس مادام لم يسمح له بذلك[2]،وفضلا على ذلك يرى لوك بأن ليس من العقلاني التوقع بأن الأفراد يمنحون مواقفهم لحكومة تعد نفسها مسؤولية عند هداية مواطنها،بمعنى أنه فإنسان لا يقبل أن يسلم رعاية نفسه وخلاصها لأي إنسان آخر سواء كان أميرا أو حاكما أو أي إنسان أخر.[3]

2- رعاية النفس لا تندرج ضمن صلاحيات الحاكم لكونها تتناقض مع الدين

ويقصد جون لوك بأن الحاكم لا يمكنه فرض المعتقدات بإستخدام القانون لكون السلطة،والسبب في عدم إدراج رعاية النفوس ضمن اختصاص الحاكم هو الدين،[4]لأن الدين

---

[1]جون لوك ،**رسالة في التسامح** ، المصدر السابق ،ص24.

[2] المصدر نفسه ،ص ص 24_25.

[3]بيجان شاهين ،**التسامح من قيم الليرالية**، تر: على الحارس ، منشورات المتوسط ،ايطاليا ، د ط ، د س، ص59 .

[4]احمد بن محمد المفتي ،**نقد التسامح الليرالي**، مجلة البيان ، العدد 128 ، مركز البحوث والدراسات، ص19.

هو من يحتكم إليه الفرد و يحترمه ،فعادة ما تكون السلطة ممارسة للقوة و الإجبار على الإفراد فتكون السلطة البرانية ومفروضة عليهم ،وهذا ما يتنافى مع تعاليم الدين السلسة التي تكون على قناعة في الداخل بالعقيدة,لأن الدين الصحيح هو من يتولى خلاص النفوس المقتنعة به باطنيا وإن لم تكن مقتنعة به تكون متناقضة مع الله.[1]

3- العناية بخلاص النفوس ليس من مهام الحاكم

ولا يمكن للحاكم فرض معتقدات وتقديم الحجج للأفراد ،لأن هذا لا يأتي بفائدة تجاه النفس وخلاصها ، لكون الجانب المعنوي الباطني يخص الإنسان نفسه وليس من مهام غيره [2]

ثالثا: للإنسان السلطة العليا في الحكم على نفسه في أمور دينه

ما عرف على جون لوك في كتابه رسالة في التسامح أنه كان يدافع على كل فرد وأن يكون له الحق في الحرية الشخصية والحقوق الكاملة في تقديم أرائه بحرية تامة دون أي حاجزا أو خوف من السلطة العليا ،لأن السلطة المطلقة التي تتحكم فيه هي نفسها التي تسير ما هو جواني وعقله الذي يحاول أن تقتنع بما هو براني وخارجي فلهذا يتوجب أن لا تخضع أية عقيدة أو فكرة أو رأي على الناس ،بل يجب تركهم يعبرون بكل حرية في أمورهم الشخصية وعدم رفض أخيرية الأخر، وبمعنى هذا أن لكل فرد الحرية في عقيدته ولا يمكن أن تعطى الولاء لأحد ، أن يفرض عقيدته على غيره بالقوة وحتى وإن كانت الكنيسة نفسها لأنه مثل هذه البنود لم توجد في العهد الجديد والكتب [3] وعليه فنجد جون لوك من خلال العلاقة بين الإنسان والكنيسة يحاول أن يوضح لنا مدى امتداد واجب التسامح مع الفرد وما يتطلب منه، وهذا لوجود عدة أسباب ولعلى من أهمها ما يلي :

---

[1] جون لوك،**رسالة في التسامح**،المصدر السابق ،ص ص 25 _26.

[2]،المصدر نفسه ، ص ص27_28.

[3]المصدر نفسه ،ص ص27-28.

أ –الكنيسة ليست مكلفة لحكم واجب التسامح

لأن السماح بانتهاك قوانين المجتمع مآله الإنهيار ،وهذا ما يعود عليه بالتمرد في شخصه وممتلكاته,أي أن لكل فرد الحرية في إنضمام لأي مجتمع بشرط عدم المساس بالقوانين وتجاوزها ،لكي لا يعرض نفسه للعقوبة من قبل المجتمع الديني ،والتي تكون عقوبته خالية من القوة. [1]

ب– عدم المساس بالمتعة المدنية للإفراد المختلفين دينيا فيما بينهم

ويقصد جون لوك بذلك أنه مهما كانت الوظيفة التي يمتلكها الفرد داخل الكنيسة إلا أن ليس من حقه أن يتسلط على غيره لأنه مختلف عليه في الدين أو في إنتمائه لكنيسة مغايرة ،وهذا لأن كل فرد يعتبر مواطن في الدولة ليس من حق أي شخص أن ينهب ممتلكاته ويجب أن تبقى محفوظة لكونه لا تمد لدين بأي صلة بها ،إلا أن دعوة لوك تتعايش بالرغم من إختلاف الديانات سواء كان مسحيا أو وثنيا.سواء كان داخل الكنيسة أو خارجها لا يتوجب عليه إستقلال مهامه ،بل يجب عليه الوعظ والنصح وإن تعلق الأمر بالكنائس المختلفة فيجب كذلك عليهم عدم التسلط الواحدة على الآخر ،وبما أن كل من الحكومة المدنية وسلطة الكنسية ليس بإمكان كل واحدة منها التنازل على حقها عل لغيرها ، فهذا يعود بطبيعة الحال لإعتبار أن الكنيسة؛ مجتمع حرْ له إرادته بمعنى أنها لا تتطلب قوة السيف عندما يكون الحاكم منتمي إليها ولا تفقد مهامها كالتعليم والوعظ وغيرها من الصلاحيات عندما ينفصل عنها الحاكم[2]، لأنه يوجد حدود وثوابت بين مهام كل منهما.

ج –السلطة الدينية مادامت ذات طابع كنسي يجب أن تكون مقيدة بحدود الكنيسة وليست بإمكانها أن تمتد إلى شؤون الدنيوية

---

[1] ا جون لوك . **رسالة في التسامح**، المصدر السابق ،،ص ص31–32.

[2] المصدر نفسه ، 32–33.

ويقصد جون لوك بذلك أن الكنيسة منفصلة كل الإنفصال عن الدولة، حيث يشبه جون لوك الخلط بينهما أي بين السلطة والكنيسة ، كمن لا يفرق بين السماء والأرض لكونهما مجتمعين متضادين .[1] ومفاد هذا أن لكل من السلطة المدنية والسلطة الدينية مهامها الخاصة بها ولا يمكن لأي واحدة منهما التدخل في الأخرى ، وكذالك عدم التدخل في شؤون الفرد ، فخلاص أي فرد يرجع له، ومن واجب كل فرد النصح والإرشاد ولكونه مواطن ينتمي لدولة ما فمن واجب هذه الأخيرة أن تتكفل بحقوقهم الطبيعية ، مثل الحق في الحرية والحق في الإعتقاد وحق الملكية الذي يقوم على العمل ومقدار العمل على حيازة و القانون الوضعي بمعنى ليس من حق أحد آخر أن يكسب متاع غيره ولا أن تصير الحيازة والنهب حقا.[2]

رابعا: حرية الضمير حق من حقوق الطبيعية للإنسان

لكل فرد حقوق لا يمكن تجاوزها سواء تعلق الأمر بالحقوق التي كانت في الحالة الطبيعية أو في الحالة المدنية، لأنه حتما أي خدش يمس تلك الحقوق المتاحة للإنسان ،فإنه يجعل منه كإنسان متغطرس ويصبح هدفه الوحيد هو الدفاع عن نفسه وكيفية استرجاع حقوقه بكل الطرق والوسائل،وقبل ما يتعرف الإنسان على تشكل المجتمع المدني أو الدولة، كان يعيش في الحالة الطبيعية والتي تتميز بالفوضى وعدم وجود قوانين تتحكم في العلاقات بين الإفراد في ظل هذه الحالة التي كان الأفراد عرضة لقانون الطبيعة وفي حرية التمسك بالعقل ، وهذا للإنعدام وجود هيئة سياسية تكفل حقوق الأفراد وتملي عليهم واجباتهم وهذا نتيجة لما لحقهم من أخطار السائدة في الحالة الطبيعية ،وهذا لأنها تتسم بالحرية ومن ثم تؤدي تلك الحرية المطلقة لإنتهاك الحقوق أكثر من إحترامها[3]بحيث أن مثل هذه الانتهاكات تساهم في إنشار العنف والصراعات داخل الأفراد لكونهم يولدون أحرار فيفعلون كل ما

---

[1]جون لوك ،**رسالة في التسامح** ،المصدر السابق ،ص 36.

[2] المصدر نفسه ،ص36-38.

[3]بيجان شاهين ،**التسامح من قيم الليرالية** ،المرجع ،نفسه ،ص 58.

يردونه بحرية مطلقة ،وكحل للخروج من أزمة الصراع أو العنف المنتشر بين الأفراد الذين لا ينتمون لأي جهة ,يلجؤون إلي تشكيل أو بناء مجتمع أو دولة تكفلهم،وبعد إنتماء الأفراد لهيئة تكفل مصالحهم وتهتم بإدارة شؤونهم، حينها يطالب الإنسان بحقوقه مثل حق الملكية وحق العمل وحرية الضمير والمعتقد و إعتبارها حقوق طبيعية لا يمكن المساس بها أي كانت السلطة.و بناءا على ذلك فلوك يبين لنا بأن الهدف المنشود للدولة هو تأمين حرية لفرد التي تجسد فيها خلاص الإنسان، بحيث أن الفرد يجب أن يتبع ما يمليه عليه ضميره وتقتنع به نفسه ،ويتقبله الله الذي هو مصدر السعادة الأبدية، فغاية الدولة هي حماية الإنسان وملكيته ،وعليه فعناية الإنسان بنفسه وعلاقته مع الله فهي متروكة له[1]، لأن الفرد مطالب بإتباع سبيل خلاص نفسه ونيل رضا الرب وكذلك مطالب بإتباع قوانين التي تفرض عليه من قبل الدولة،وخاصة إذْ تعلق الأمر بالحرية الشخصية التي معناها؛ أنه ليس هناك سيادة طبيعية لأحد على غيره، فقدم لنا جون لوك مثال عن الأب أعطيت له السلطة لكي يجعل ابنه كائن حرً وهذا يعد واجب طبيعي أكثر من السلطة أي أنها سلطة مؤقتة كسلطة السيد للعبيد. كما يقول جون لوك بأنه ليس من الحكمة أن ترغم الناس على عقيدة معينة أو رأي خاص ، وتعتبر تلك الحرية واجب في عنق الدولة لأنه ليس من حق الدولة أن تتدخل بين الفرد وعبادته ومعتقداته. [2]

<u>خامسا:</u> تستر رجال الدين تحت غطاء السلطة المدنية في أمور الدين

تكمن مهام رجال الكنيسة في الوعظ وتقديم الحجج ، لتخلص من المغالطات وهذا لكونهم يمتلكون القدرة على الإقناع،بمعنى أنهم ليس من حقهم اللجوء لإستخدام القوة ،و ويقول جون لوك في هذا الصدد :" ***هو أن أشد الناس عنفا في الدفاع عن الحق وفي***

[1]جون لوك ، **<u>رسالة في التسامح</u>** ،المصدر السابق،ص52.

[2]جون لوك ،**<u>الحكومة المدنية</u>**، المصدر السابق، ص65.

معارضة إلا أخطاء وفي الصراخ في وجه الإنشقاق نادرا ما تكون لديهم الحمية التي تمنحهم الدفيء والوهج إلا إذا كان الحاكم يؤازرهم.""[1]

ومن أهم الإمتيازات التي يطمح إليها رجال الدين عند إلتجائهم للسلطة المدنية هو مؤزرة الحاكم وتزويدهم بالقصر الملكي ، وكذلك تجهيزهم بالمحاربين لكي يصبحوا أقوياء وحينها يتغافلون عن مهامهم وهي الوعظ و السلام ،ودائما يسعون لتمكن من السيادة بإسم الدين وهذا ما ينتج عنه بؤر النزاع في بعض المجتمعات ، وإن لم يتمكن رجال الدين من الوصول لسيادة فتبقى مهامه هي نفسها ووسيلتهم الحجج ومهامهم كمهام الرسل ليس إلا ،أي التبليغ والوعظ لأن رجال الدين يكتسون الدين بغطاء مدني ،لأنهم يزعمون أن لهم القوة على كل من لا علاقة له معهم وهذا ما يمنع الحاكم بالتسامح معهم [2]،

<u>سادسا</u> :استبداد الحاكم هو السبب في التآمر والفتن بين المواطنين

يعد من أهم الأسباب التي تؤدي لنشر الفتن بين المواطنين داخل الدولة و التآمر عليها ،وهذا لتسلط الحاكم عليهم ، وعليه يولد التمرد الذي يؤدي لنشر العنف اللاتسامح.

وكما يقول لوك عن هذا "***ماذا يحدث لو أن الحاكم يحكم سلطانه أصدر أمر غير قانوني بالنسبة لضمير شخص ما ، وإذا كانت الحكومة تدار بإخلاص وكان مستشارو الحكم مهتمين بالخير العام ،فإن مثل هذا الأمر لا يحدث إلا نادرا***"[3].وتأسيسا على هذا يتضح لنا بأن جون لوك يؤكد على أن هذه الأمور مثل التعدي أو التمرد عن القانون لو تقع تستوجب معاقبة الفرد،وهذا للحفاظ على الصالح العام,كما يؤكد بأن أكبر مسبب للفتن هو محاباة الحاكم لبني عرشه ودينه، ولو أتبع الحاكم النزاهة والإنفاق مع الرعية لما تآمروا عليه،حيث يتوجب على الحاكم أن يتمرد هو على كل ما هو مسموح له في حدود القانون

---

[1]جون لوك ،**<u>رسالة في التسامح</u>** ،المصدر السابق ،ص35.

[2]عبد الرحمان بدوي ،**<u>ملحق موسوعة الفلسفة</u>**، المرجع السابق ، ص60.

[3]جون لوك ،**<u>رسالة في التسامح</u>**،المصدر نفسه ، ص ص53 –54.

،ويتجلى هذا في عدم تدخله في إجبار غيره على أمر ما مهما كان أو نهب ملكيات الرعية وتسليمها لغيرها بدافع أنه من نفس دينه أو من أتباعه ،إلا أنه لا يخدم الصالح العام أبدا،وهذا لكون أن سلطة هذا الحاكم لا تكمن مهامها بالتدخل في الأفراد، بل في حمايتهم وفق لما يضمنه لهم القانون هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن الإنسان وأموره الدينية والروحية فهي ملكة لنفسه[1]،إضافة إلى ذلك يرى لوك بأنه لو افترض أنه من حق الحاكم التدخل في الأمور الدنيوية للفرد و إنتزاعها منه لإعطائها لغيره بحجة أنه يخدم الدولة ،كما أنه يؤكد بأن هذا ليس من حقه وأن هذا لا يكفله الدستور للحاكم ، و سيؤدي بطبيعة الحال إلى ظهور مخالفين له في هذا الحق ،حيث يتمردوا عليه بدافع أن مثل هذي الحقوق المصرح بها للحاكم لا علاقة لها بالصالح العام ،بل هي تخدم مصالح الحاكم الخاصة.[2]

وفي ظل هذا الصراع بين الحاكم المستبد و الرعايا المتمردين عنه حول إدارة الشؤون ، بينما هو قانوني وغير قانوني ، فيرى لوك بأنه لا يوجد ممكنة القضاء على الصراع فيقول "***هو الله وحده لأنه لا يوجد قاضي على وجه المعمورة يحكم بين الحاكم الأعلى والشعب أقول أن الله في هذه الحالة هو القاضي الوحيد الذي يعاقب كل إنسان في يوم الحساب حسب ما يستحق ،أي حسب أخلاقه واستقامته في تنمية القوى والخير العام و بسلام البشرية*** "[3].لجأ لوك إلى الله لكونه هو القادر على الفعل في هذا الطلاق فهو الوحيد الذي له القدرة والسلطة على العالم و رعاياه ،وهنا يتجلى لنا بأن لوك في نصه هذا أنه يوجد نوع من الدعوة للأنفراد لإستعمال القوة و الضعف للدفاع عن أنفسهم و حقوقهم صادرة من قبل الطغاة وهذا فعل يل للانفراد لتحصل من ذلك التعلم . [4]

المطلب الثاني :حدود فلسفة التسامح عند جون لوك

[1]عبد الرحمان بدوي ، **ملحق موسوعة الفلسفة** ،المرجع السابق ،،ص60.
[2]جون لوك ،**رسالة في التسامح** ،المصدر السابق، ص ص54-55.
[3] المصدر نفسه ،،ص55.
[4] عبد الرحمان بدوي ، **ملحق موسوعة الفلسفة** ،المرجع السابق ،ص60.

:من واجب الحكومة أن تتسامح مع مواطنيها ، حيث يتجلى ذلك في ممارسة عقائدهم الدينية التي لا تلحق الضرر بها وفي خضم هذا نجد أن لوك أقرا بذلك إلا أنه يلغي بعض الطوائف خارجه ،وبناءا علي ذلك وضع لتسامح حدود وهي كالأتي:

1 :عدم التسامح مع الكاثوليك

بحيث يرى لوك بان الكنيسة التي يقوم دستورها على أن الذين ينتمون إليها عليهم وضع أنفسهم تحت حماية أمير آخر ،فالكنيسة ليس من حقها أن تطلب التسامح من الأمير ولو فعل الأمير ذلك لأصبحت بلده عرضة للأجانب[1]،كما رفض لوك التسامح مع الكاثوليك، إعتبارا منه أنهم يدينون الولاء لأمير الأجنبي ،بحيث أن الولاء للبابا في إنجلترا و للملك في فرنسا وكان رفضه لأسباب سياسية لا لأسباب دينية[2]

2-عدم التسامح مع الملحدين

وكذلك يوجد فئة أخرى لا تدخل في حيز التسامح وطبعا هذا ليس لأسباب دينية ؛بل للأسباب علمانية وهم فئة الملحدين،يرى لوك بأنه لا يمكن لإنسان أن يكون أخلاقيا إلا إذا كان يؤمن بوجود الرب ، لأن من يخاف الرب يفي بالوعد والعكس صحيح ،ومن هنا يسأل لوك كيف نثق في من لا يخاف الرب ،فمن لا يخاف الله أكيد أنه يغش الحكومة يوما ما وهذا يحيل الحكومة بعدم الوثوق بالملحد وأن لا نسامح معهم، وإضافة إلى ذلك أن الملحدين يعتبرون أكثر خطرا على الدولة والحكومة من الكاثوليك على الرغم من إن ممارستهم الدينية تقبل بشكل عادي في الدولة ولا يمكن التعرض لهم ،إلا إذا حاولوا المساس بالدولة [3]فلا يجب أن يتسامح الحاكم معهم وأنه لا يوجد بينهم ثقة ولا أمان لمن لا يخاف الله ويهابه .

---

[1]جون لوك ،**رسالة في التسامح**،، المصدر نفسه،ص 75.

[2]عبد الرحمان بدوي ,**ملحق موسوعة الفلسفة** ،المرجع نفسه ، ص 60.

[3]جون لوك ،**رسالة في التسامح** ،المصدر السابق ،ص57.

3- تسامح المذهب السائد مع المذاهب المختلفة عليه

أراد جون لوك من المذاهب السائدة آنذاك في عصره أن تتسامح مع المذاهب المختلفة عليه دينيا كذلك ، و كان لوك يوضح للمذهب السائد بأنه هو من يقوم بالإضطهاد للمذاهب المختلفة ،وهذا من خلال تعصبه وتمسكه بالحكم .

يعد تسلط المذاهب السائدة نتاجه التمرد على المذاهب المخالفة ، وهذا ما ينتج عنه غياب التسامح وأثاره ودفع المذهب السائد بالإضطهاد لتك المذاهب وزعمهم بأن هذه الأخيرة تشعل نار الفتنة داخل الدولة، وبناءا على ذلك يؤكد لوك على فصل المتباينين في المذاهب من قبل المذهب السائد ،وكذلك بعدم فرض أرائه لأن هذا يثقل كاهل الرعايا ، بحيث تتولد عليه النظرة العدائية للفرد حول الحكومة فحينها يصبح الفرد بين إما إن يتخذ مع الحكومة سبيلا أو أن يشتغل في سبيل الرب[1]،وكما أن جون لوك يقف ضد الحكومة ، فيتولد الصراع فلهذا يجب التساهل معهم وتعلم كيفية العيش معهم بالتسامح على أساس الحصافة، لكون السبب في الحروب بين المسحيين ليس تنوع الآراء بل رفض التسامح مع الأخر.[2]

و يمكن أن نتوصل إلى أن الحكومة مهامها تدعوا التسامح بين رعاياها ،مهما تعددت و إختلفت الطوائف الدينية فهي تكفلهم وتحميهم، لأنه من البديهي أي فرد متعلق دينيا بنفس دين حكومته ،فنجده يدافع عن الدين بقوة لحماية نفسه بوجه خاص ، وحماية دولنه بوجه عام.

4 -عدم التسامح مع الآراء المخالفة للمجتمع الإنساني

من ضمن المبادئ التي وضعها لوك في طرحه لتسامح هي عدم التسامح مع الجماعات الدينية التي تقوم بطقوس وعبادات مغايرة ، والهدف من تلك العبادات هو

[1] بيجان شاهين ،**التسامح من القيم الليبرالية**،المرجع السابق،ص62.

[2] المرجع نفسه،ص63.

الإخلال بتوازن السلطة المدنية،وفي هذا السياق لا ينبغي للحاكم أن يتسامح مع الآراء المضادة والمخالفة للمجتمع الإنساني،أو مع القواعد الأخلاقية الضرورية للمحافظة على المجتمع المدني ، لأن هؤلاء المخالفين يتحًدون السلطة التي تحرمهم حقوقهم ، وبالرغم من أن سلطتهم الكنسية وهي سلطة مؤسسة على النعمة الإلهية ، ولعلى ما آل إليه لوك في رفضه لتسامح مع هؤلاء هو أنهم دائما على الإستعداد للمواجهة ، و بناءا على ذلك أن كل من يخطى بتصرفاته و أخلاقه لا يمكن التساهل معه، من قبل الحاكم وهذا للحدْ من تفشى مثل هذه الأخطاء داخل بلاط الحكم ،لأن ما يترتب عنه غض النظر عنها لإضعاف الدولة وكيانها في حين أن الدولة تروج للسلام و المحبة بين رعاياها. [1]

ولعلى ما يجب أن ننوه له في هذا المقام أن لوك لم يتكلم عن التسامح بصفة مطلقة، بل حصره بشرط لا يمكن المساس بيه وهي التصرفات والمعتقدات ،التي تعد هي مادة التسامح والتي يجب أن لا تؤدي إلى إضراب النظام العام فلهذا لا يمكن السماح بها دائما داخل الكنائس.

[1]جون لوك ،**رسالة في التسامح**، المصدر السابق ، ص ص55-57 .

المبحث الثالث : مظاهر التسامح عند جون لوك

المظهر الديني:

بقيت النزعة اللاهوتية مستمرة في سيطرتها على العقل إلى ما بعد عصر النهضة

الأوروبية ، وكذلك في القرن السابع عشر، لذا نجد المشكلة التي واجهت فلاسفة هذا العصر منهم لوك الإنجليزي هي كيفية تبرير الموقف الديني عقليا ,والذي يختص بأسس العقيدة المسيحية السبب فيها هو معالجة نفس الموضوعات في الدين كالوجود والذات الإلهية و الخلق وكذلك في الفلسفة ،فالدين موضوعاته تختص بأسس العقيدة المسيحية منها فكرة التثليث عند بعض الفلاسفة تنظم بطريقة رمزية ،وكذلك مشكلة خلاص و النعمة الإلهية التي كتبت بوضوح في كتابات الفلاسفة ، لذا نجد الفيلسوف التجريبي لوك يقدم هذي المشكلة ،أي العلاقة بين الفلسفة و الدين ،حيث حاول تبيين الدين في سلوك الإنسان ،ومن خلال هذا يريد القول أن القانون الأخلاقي و قواعد السلوك الأخلاقي التي تستند إلى القانون العام ،فأما الواجب الأخلاقي و الإرادة الحرة للجانب الأخلاقي يستند إلى أوامر الكنيسة ، حيث أنها وضعت لمعرفة اللاهوت الكنسي و هذا ما تبشر به البروتستانتية، و على أن لوك يستمد أصوله من الحسيين التجريبيين في الجانب الأخلاقي إلا أننا نجده متأثر باللاهوت المسيحي ، حيث يرجع مبادئ الأخلاق و القانون إلى مجال اللاهوت التي قد لا تتفق مع موقف لوك الفلسفي الحسي.[1] .فنجد أن لوك في كتابه (معقولية المسيحية) يدافع على الديانة المسيحية بناء على معقوليتها الذاتية ،وعليه نرى بأن لوك من خلال ما ذكره توجد ثلاثة شروط إستعاد بها المسيح الخلود للبشرية ، وهي الإيمان على أنه مسيحي و التوبة و الصفح عن الآخرين، فهي مبادئ أساسية يمكن لأي إنسان بسيط أن يفهمها ،فهي أساس

[1] د-راوية عبد المنعم عباس،**جون لوك امام الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق ،ص،ص145-146.

الخلاص حين يكون مقتنع بحقيقتها[1]؛حيث كان لوك مدافعا عن المسحية التقليدية بحذر ،فيرى بأن الملامح الحقيقية للمسحية معقولة ،كما أنه يدافع عن الحرية التي من خلالها توصله وبصورة واضحة ومفهومة إلى مذهب التثليث وتعقيدات الميتافيزيقا ،التي لم يجدها في الكتاب المقدس ،وعليه كتب لوك أربعة رسائل كبره في التسامح ،فمن خلالها رأى بأن الفرد لا يضحي بحقوقه الدينية من أجل الدولة أو تشكيلها ،لأنه لا يمكن لأي شخص أن يتخلى على إهتمامه بخلاصه ، كما لا يكمن لأي شخص سواء كان أمير أو من إحدى الرعاية أن يصف له الإيمان أو العبادة ماذا تعني فهذا يفهمه وحده دون أي كان ،فمن هنا نجد بأن لوك لم يدافع على حرية الفكر في الدين فقط ،بل يدافع كذلك على حرية العبادة العامة في الكنائس التي هي من إختيارهم الخاص ،حيث يعتقد لوك بأن هناك تحفظات ضرورية لإتمام التسامح الديني ،فمنها عدم السماح بإكثار الآراء المتناقضة مع المجتمع البشري وكذلك عدم حفظ العهد مع لا أمان لهم ،فلوك يرى بأن من ينكر وجود الله كالملحدين لا تسامح معهم مهما كان الأمر فالوعود والمواثيق التي تمثل روابط للمجتمع البشري لا تكون بين من لا يعترف بوجود الله ولا يؤمن به ،فحسب لوك حتى التفكير في الإبتعاد على الله يؤدي إلى الظلال و الهلاك ،فالملحدين لا يكون لهم إدعاء للدين والدعوة ،لأنهم يعترضون على ميزة التسامح ،حيث أنه يحذر المسحيين من إتباع آرائهم لأنها مخالفة لآراء الكنيسة المعترف بها رسميا ،ولكن على الرغم من عدم تسامحه مع الملحدين فهو يتسامح مع اليهود والمسلمين تسامح كامل ،لأن مبادئهم الأخلاقية تشترك مع الأخلاق المسحية ،كما له تأثير كبير في تعليم الرأي العام في إنجلترا من خلال تدعيم الدولة أو الحكومة وسياستها الخاصة من خلال ممارستها لتسامح الديني أكثر من أي بلد أوروبي في عصر التنوير.[2]حيث يقول في رسالة الخاصة بالكنيسة المسحية أن حرية العقيدة الدينية

[1]وليام كلي رايت ، **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، تر : إمام عبد الفتاح إمام ، التنوير لطباعة والنشر ، لبنان ، ط1 ،2010،ص174.

واجب على الدولة التي لا يمكنها أن تتدخل في الفرد وعبادته ، بل واجبها يكون في صيانة المصالح المادية فقط ,فتصرفه يمثل خطر على الدولة ،كما لا يمكنها أو بعبارة أدق يحرم عليها أن تميل أو تتحيز لمذهب من العقائد الدينية دون الأخرى وعلى هذا فكلما كان هذا المذهب أقرب للحق يكون بعيد على مساعدة الدولة في حاجياتها .[1] كما رأى في اللذة الخير والألم الشر ،فهما حسب لوك الدافعان الأساسيان لسلوك الإنسان من خلال مقياسه من ناحية النقص والكمال التي هي مطابقة للقانون الأخلاقي الذي يكون مفروض علينا ،لأنه مقرر بإرادة الله ، فالقواعد الأخلاقية بالنسبة لجون لوك ليست من صنع الجماعة السياسية بل هي تنزل على البشر.[2]

فلوك يرى بأن التسامح هو العلامة المميزة للكنيسة الحقة فهناك من يتفاخر بقدم الأماكن والبعض يزهو بصلاح إيمانه، لكن الجميع يتباهون بما يعتقدون على أنه الإيمان الحق الذي لا يحق لأحد أن يشاركهم فيه ، وهذا كله علامات في شهوة البشر على تسلط الواحد على الآخر أكثر من علامات حب الكنيسة ، وإن سلمنا بأن لكل فرد الحق في مثل هذه الأمور وتجرد من المحبة و الإرادة الخيرة للبشرية عن غير المسحيين فإنه لا يمكن أن يكون مسحيا حقا ،فالدين حسب لوك لم ينشا أو يتأسس لأجل ممارسة الطقوس ولا للحصول على السلطة الكنسية إنما لتنظيم حياة البشر في مجتمعاته بناء على قواعد الفضيلة و التقوه ، فكل فرد لديه شعار المسحية يجب عليه محاربة رذائله وشهواته والتغلب عليها بإيمانه المسحي الحق ،فيقول لوك أن تكون مسحيا يجب أن تكون صاحب حياة مقدسة وسلوك طاهر[3]، كما يرى بأنه من المستحيل على من لا دين مسحي في قلوبهم أن يكرسوا أنفسهم بإخلاص من أجل تحويل الآخرين للمسحية ،فالإنسان لا يمكنه أن يكون مسحيا بلا محبة ،فالإيمان لا يؤثر بالقوة بل بالمحبة ،فلوك لا يعترف بمن يقتلون ويدمرون بحجة الدفاع عن الدين إلا إذا رآهم

[1] زكي نجيب محمود ،**قصة الفلسفة الحديثة**،المرجع السابق،ص،ص199-200.

[2] المرجع نفسه ،،ص218.

[3] جون لوك ،**رسالة في التسامح** ،المصدر السابق ،ص19.

يحاربون بالنار من تلوثوا بالرذائل ، والذين لا طهارة لهم معرضون للعقاب الأبدي ،إلا إذا رأيتهم يعبرون عن حبهم للأفراد في خلاص نفوسهم وتحملهم للقسوة بجميع أشكالها ، كما يرى بأن المحبة التي يتميز بها المسحي لا تصدر العذاب من إنسان على إنسان آخر من أجل خلاص نفسه ،وأي إنسان حاول بالقوة إجبار الناس على الإنتماء لعقيدة معينة ،أو يجعلهم ينتمون إلى عقيدته فهذا حسب لوك لا يهدف لبناء كنيسة حقه[1]،فمن هنا نرى بأن التسامح عند من يعتقدون عقائد مختلفة في الدين وأموره يتنافى تماما مع العهد الجديد الذي جاء به المسيح ،فلوك يرى بأنه من الغريب على الفرد أن يكون أعمى ولا يرى ضرورة التسامح بالرغم من ضوئه المنير واللامع ،حيث يقول لوك على من يمارسون القسوة والعنف لا يمكننهم أن يدعوا على أن هذا من أجل خدمة الصالح العام لكي لا يسعى الآخرون بدعوى الدين ،إلى أن يجد فيه خلاص لما يقمون به من إباحة وإنحلال ، أو أن لا يفرض على نفسه أي شيء تحت ما يسمى بدعاوى الولاء أو الأمير ،فمن خلال هذا يقول لوك يجب التمييز بين مهام الدولة والدين وتأسيس الحدود الفاصلة بينهم ، من أجل الإبتعاد على الخلافات التي إن لم يكون إنفصال بينهما ،أي بين من يهتمون بصالح نفوس البشر من جهة وبصالح الدولة من جهة أخره.[2]

المظهر السياسي:

النظرية السياسية تطورت عند لوك من خلال تأليفه المقالتان عن الحكومة اللذان يعكسان ما كانت عليه الحال في عصره، و يواجهان مسألة لطالما كانت محور الجدل الديني و السياسي.[3]

حيث أن لوك من خلال مقالتيه تكلم على السياسة ،فنجد في الحكومة أنه يستحيل أن تستمر سلطة الحكومة من سلطة الأب ،فيقول أن سابقاً كانوا يقولون الحالة الطبيعية على

[1]جون لوك،**رسالة في التسامح**،المصدر السابق ،ص ص21 -22.

[2] المصدر نفسه ، ،ص23 .

[3]جون دن ، **جون لوك مقدمة قصيرة جدا**،المرجع السابق،ص41.

كل حكومة بشرية ، لكن في هذه الحالة يوجد قانون الطبيعة الذي يتألف من أوامر الهيئة ،و لا يفرضه أي مشروع إنساني ، فلوك يقول بأن الحالة الطبيعية و قانون الطبيعة ليس طريقة ،و إنما هو تكرار للنظريات المدرسية في العصور الوسطى، كما يرى بأن قانون الطبيعة يدير الربا أي إقتراض المال بفائدة ، حيث أن ملكية الكنيسة كلها أرضا ،كما أن قانون الطبيعة يتصور تصوراً مخالفاً ، و لكن وجوده لا أحد يشك فيه ،لأن هناك العديد من النظريات تُدين أصلها إليه ،أما النظر للحالة الطبيعية فلوك كان أقل أصالة من هوبز، الذي إعتبرها حالة حرب للكل ضد الكل ، فنجد بأن الحالة الطبيعية و القانون الطبيعي التي أخذها لوك من أسلافه، لا يمكن أن تتخلص من أساسها اللاهوتي ،أي أنه إن لم يكن هذا الأساس موجود فإنها تفتقر لدعامة منطقية واضحة[1] ، فحسب لوك لكي نفهم السلطة السياسية على الوجه الصحيح ، يجب علينا أن ننظر إلى الحالة التي يعيشها الناس في ذلك الوقت ، فنجدها حياة من الحرية التامة المنظمة لأفعالهم ،أي عليهم التصرف في ممتلكاتهم و أشخاصهم بما يرونه سليماً ،و هذا أضمن قانون الطبيعة دون طلب إذن من أي شخص و دون الإعتماد على إرادته ، كما أنها حالة من المساواة أي أن السلطة و القضاء متساوون ،فليس لأحد أكثر من الآخر، حيث يرى بأن كل المخلوقات تولد من غير تمييز ،و كلها ذات فوائد في الطبيعة ، لذا أن تجرى المساواة بينهم دون أن يكون بعضها تابعاً للبعض الآخر أو خاضعا له ،لكن في حالة ما تكن حالة الطبيعة نفسها حالة الحرية التي لا يساء استخدامها ،فالإنسان إن كان في حالة الحرية يتصرف في شخصه وممتلكاته ،كما أنها لا تمكنه من القضاء على أي مخلوق عنده ،أي ليست له الحرية،أما بالنسبة للحالة الطبيعية فيحكمها قانون من الطبيعة ،أي أن العقل هو القانون الذي يعلم الجنس البشري كله ،فلا يمكن للآخر أن يلحق الأذى بغيره في صحته وحريته و ممتلكاته فجميعنا ملك الله[2].

---

[1] برتراند راسل ،**تاريخ الفلسفة السياسة**،ج3، تر :محمد فتحي الشنيطي ، المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، د ط،1977 ص ص197-199.

[2] المرجع نفسه ،ص ص200-201.

ففي فلسفة لوك السياسية نرى بأن الملكية هي السبب الرئيسي في تأسيس الحكومة المدنية ، لذا فلوك يرى بأن الغاية الكبرى ،هي على كافة الأفراد أن يتحدوا في مجتمعات ديمقراطية مع خضوهم للحكومة ،لكن تحقيقها يفتقر إلى أشياء عديدة مع حالة طبيعة فالحكومة المدنية ،حسب لوك هي نتيجة عقد ،حيث أنها شأن خالص من شؤون العالم الدنيوية ،فهي لا تقيمها السلطة الإلهية ،فلوك يقول بأن لكل إنسان بالطبيعة الحق في رد الإعتداءات على شخصه،أو ما يملك حتى وإن ألزمه القتل ،لكن من خلال هذا لا يمكن إقامة مجتمع سياسي ،لأن إقامته تتطلب تنازل الأفراد على هذا الحق للجماعة أو القانون ليتولونا أمره ، وكذلك حسب لوك فالملكية المطلقة لا تعد شكلا للحكومة المدنية لأنه لا توجد سلطة محايدة لحسم المنازعات بين الملك و إحدى رعاياه ،فلوك يرى بأن بدايته تكون من خلال موافقة الأفراد على انضمام بعضهم البعض وإنشائهم لمجتمع واحد [1]

ولكي تنشأ دولة يجب على الفرد أن يتنازل على صلاحيته التي يتمتع بها في المجتمع الطبيعي ،فلوك لخصها في صلاحية المحافظة على ذاته و على ذوات سائر البشر وفقا للسنة الطبيعية القاضية بضرورة بقاء النوع البشري، وكذلك صلاحية حل العقوبات على من لم يتبع تلك السنة ، فمن هنا مادام أنه تخلى عن صلاحيته، فعليه أيضا أن يتخلى عن حريته الطبيعية ،فسلطات الدولة حسب لوك ليس لها إختلاف مع الصلاحيات التي كان يكتسبها الفرد في ظل المجتمع الطبيعي ،وعليه فالمجتمع المدني يصلح المآسي التي قد يتعرض لها الفرد وفقا لبنود السنة الطبيعية المقترنة بالقضايا التي تعينها من خلال عدة سلطات .[2] السلطة السياسية عند لوك تتمثل في وضع القوانين التي تتضمن الإعدام و جميع العقوبات الحقيقية الأخرى،وحالة الطبيعة بالنسبة للوك هي حالة المساواة و حرب فقط لأنها محكومة بحق طبيعي يفرض نفسه على الجميع ، و يقول لوك أن حق الملكية ،يشكل

[1] برتراند راسل ،**تاريخ الفلسفة السياسة** , المرجع السابق , ،ص ص203-209 .

[2]من مقدمة ماجد فخري في كتاب جون لوك،**الحكم المدني**،اللجنة الدولية لترجمة الروائع بيروت 1959،،د ط ،ص ط

جزءا لا يتجزأ من حالة الطبيعة [1]، ومن آراءه السياسية (لوك) أنه جعل السيادة للشعب و إن كان يقول بأن هذه السيادة يجب أن يستخدمها الشعب في الضرورة القصوى، إذ أنه يعترف أو يعتقد بقانونية الإجراءات و القوانين الحكومية ما لم تمس حقوق الأفراد الأساسية ،لأن الدولة أنشأت لحماية حقوق كانت قائمة و تنازل الفرد عنها أو جزء منها في وقت مضى، كما يقول لوك بأن ليس في وسع الأفراد منح الحاكم سلطة غير محدودة لأنهم يملكون هذه السلطة، ومن هنا لا يمكن أن تكون سلطة الحاكم مطلقة ،إذ أنها محدودة بطبيعتها ، و لوك في بحثه عن " الحكومة المدنية " يؤكد رأيه السياسي من أن الحكومة بما فيها الملك و البرلمان مسؤولة أمام الشعب و أن سلطان الحكومة مقيدة بالتزام قواعد الخلق و التقاليد الدستورية ، وكذلك يقول أن الحكومة مزودة منها،ولا يمكن الإستغناء عنها ،كما دافع لوك عن حقوق الفرد أمام البابا و الملك، ومن هنا نقول بأن لوك يعتبر من واضعي أسس الديمقراطية في العصر الحديث.[2]

[1] جون لوك ،**رسالة في التسامح**، المصدر السابق ،ص ص27-28.

[2] جون لوك ،**في الحكومة المدنية** ،المصدر السابق ،ص ص05-06 .

الفصل الثالث : أراء مخالفة لفلسفة التسامح عند جون لوك

المبحث الأول : فلسفة التسامح عند فولتير

المبحث الثاني : فلسفة التسامح عند جون استوارت ميل

المبحث الثالث : نقد وتقيم لآراء جون لوك

المبحث الأول : فلسفة التسامح عند فولتير

تميز عصر التنوير في فرنسا بتمرد أكبر وبتطرف أكثر مما كان سائدا في إنجلترا آنذاك ، وهذا نتيجة لطغيان الحكام ورجال الكنيسة ولكل منهم طريقته في الفساد ، وتجسد هذا في وحشية نابليون وتمرده ،و شارل العاشر الذي كانت نظرته ضيقة الأفق من خلال التخلف الذي ساده والانطواء لرجعية ، بحيث نجد انه هؤلاء هم من تسببوا في الكثير من العوائق التي حالت بين فرنسا وتطورها، وهذا لكونهم يرفضون التجديد والإستنارة وفضلوا التمسك بما هو موجود و حاولوا الاكتفاء به مما أدى هذا لخلق أزمات على مختلف الأصعدة الفكرية والسياسية والإجتماعية.[1]

وأكيد أن مثل هذه الأزمات تتطلب إيجاد مخارج وحلول للمجتمع لتخلص من الاضطهاد والظلم، لان هؤلاء الحكام الغاشمين يدينون بشدة لكل من يبحث عن وسائل الإصلاح وكل من يريد إيجاد سبل لتغيير الوضع السائد ، وفي ظل هذا ظهر فلاسفة الأنوار وحاولوا تغير الوضع إلى الأحسن من خلال نشر أفكارهم وأرائهم السياسية والدينية التي تخدم المجتمع، إلا أنهم تعرضوا للقمع والظلم، بحيث أنهم يسعون الإستقلالية ونشر حرية التعبير والفكر ناشدين بذلك النهوض بسلامة بلدانهم،ومن أهم الأسباب التي يتلقى منها الفلاسفة الهجمات هي إلحاق الإساءة بالدين و السلطة والمساس بهم،رغم أن لو أتيحت الفرصة للفلاسفة التنوير بالتعبير عن أرائهم ونشرها أو لو أنهم تولوا مناصب في الدولة لأصبحوا أقل انشغالا بما هو وهمي وخيالي وأكثر إهتماما بالبناء والتطور و لكانت الأمور على أحسن حال مما هو موجود ،[2]بمعنى أن كل ما شهدنه فرنسا من إ ستبداد في عصر التنوير راجع إلى عدم استغلال آراء فلاسفة التنوير في وعدم تقبل إنتقادهم الهادفة .

---

[1]وليم كلي رايت ،**تاريخ الفلسفة الحديثة**، تر: محمود سيد احمد ،التنوير لطباعة والنشر والتوزيع ،لبنان ، ط 1، 2010ص ص232-233.

[2] المرجع نفسه ، ص233.

ومن أهم فلاسفة التنوير ظهر فولتير(voltaire 1694-1778)، والذي دعا كغيره من فلاسفة التنوير للبحث عن سبل التطور والتقدم في المجتمع البشري وكذلك لنشر السلم والأمن، كما أن فولتير كان مؤمنا بكل ما يقدمه العقل البشري ناقدا كل ما هو خرافي و وهمي نابع من الكنيسة وسلطتها وهذا لأغراض أخرى أي مصالح ذاتية متعلقة بالكنيسة في حد ذاتها،ولا تمت للصالح العام بأي هدف أو نتيجة على عكس ما يهدف إليه العقل الذي يسعى لتخلص من قيود هذه السلطة ونشر مبادئ وقيم مفادها خدمة الصالح العام .كم حث الفيلسوف فولتير أو كما يلقب بفيلسوف التسامح على التسامح وتأييده وهذا من خلال المبادئ التي جاء بها ,ومن أبرز هذه المبادئ نجد تعميم التسامح.[1]وهنا يتجلى لنا أن فولتير جاء مخالفا لسابقه في هذا المبدأ الذي اعتبره ضروري.

تزامن عصر فولتير مع السيادة المطلقة لرجال الدين الكاثوليك بحيث كان يعرف بالحرمان و الاضطهاد ، ولا يفسح للعلم مجالا فيه،وهنا تجدر بنا الإشارة إلى الحادثة التي عاصرها فولتير وهي حادثة (جان كالا س) الذي كان يعيش في قرية طولوز (التي لا تبعد كثيرا عن قرية قريني التي يعيش فيها فولتير)، تمثلت هذه الحادثة في انتحار(مارك أنطوان) [2]، إبن(جان كالاس) وقد ظل فولتير يدافع عن العائلة التي إتهمت بقتل إبنه وهو الذي وضع حدا لنفسه لأسباب مادية لا غير، في حين أن القانون طبق على المنتحر بظلم بحيث نص هذا القانون" بأن يوضع الجثمان عاري على حاجز من العيدان المشتبكة على وجهه إلى الأسفل وسحب لهذه الطريقة في الشارع وبعد هذا كله يعلق على المشنقة ، وبطبعة الأمر أن مثل هذه العقوبات تطبق من قبل المتعصبين دينيا وهذا لتخلص من أي أذى قد يلحق بمذهبهم .

---

[1]وليام كلي رايت ،**تاريخ الفلسفة الحديثة**، المرجع السابق ،،ص 234.

[2]ول ديورانت ، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي**، تر: فتح الله المشعشع ، منشورات مكتبة المعارف ، بيروت، ط6 ،1988 ،ص294.

إذا يرى فولتير أن كل الحجج التي قدمت لإدانة أسرة (جان كالاس)غير حقيقية وهي ناتجة عن الغلو في التعصب للدين لا أكثر، ويقول في هذا المنطلق عن (جان كالاس) " **لو أقترف تلك الفعلة لا احتاج لا محالة إلى مساعدة زوجته وابنه (بيسير كالاس) و(لقيس) الشاب وخادمته لا يغمس الجميع في الجريمة لأنهم لم يفترقوا على بعضهم لحظة واحدة ساعة وقوع المأساة الوهمية**"[1]بمعنى هذا انه من المستحيل أن يخنق الأب المسن ابنه الشاب صاحب الثمانية وعشرون سنة ذوا البنية القوية، إضافة إلى ذالك انه لا يمكن أن تقع هذه الحادثة بشراكة الجميع مع أنهم لم يبتعدوا ولو للحظة عن بعضهم ولو إفترضنا أن الأب هو من قتل ابنه بسبب الدين أكيد انه سيقتل خادمته لأنه مغايره عن عقيدته وتؤمن بنفس عقيدة ابنهم(مارك أنطوان) وكذلك كان لزاما على الخادمة الكاثوليكية أنها ستدافع عليه لأنه من نفس عقيدتها وهذا يعني انه من غير الممكن أن تقتل عائلة ابنها ولم تقبل هذه الحجج أبدا لدى فولتير للحكم على تلك العائلة بذالك المصير البشع الذي تمثل في إعدام (جان كالاس) وسجن إبنه .[2]

بحيث تحيلنا هذه الحادثة أو على الأرجح أنها الدافع الأساسي لتحول فولتير من حالة الهزل إلى نوع من الجدية ، فتحول من كاتب رسائل إلى داعي لشن حروب ضد المتعصبين وكذالك دفعت به لتألفيه رسالة في التسامح (traite Sur la toternc) في سنة 1723،وكان من دواعي تأليفه لهذا البحث أو الرسالة هو الوضع التي آلت فرنسا بسبب الرجعية و الإضطهاد الديني والتسلط الذي كان مسيطر عليها أبان عصره[3]

التسامح وفق إصطلاح فولتير هو خاصية إنسانية وضرورية و إرتأى بأنه من لم يتحلى بها فهو ابعد من كونه إنسان واقرب من العنف بمعنى؛ أن الإنسان يتوجب عليه أنْ يكون دائما على أهبة الإستعداد لتقبل الأخر، وهذا دائما في عرضة للخطأ .وكما يقرْ فولتير بان

---

[1]فولتير ،**رسالة في التسامح**، المرجع السابق ، ص ص 15.16.

[2] المرجع نفسه ,،ص ص15 –16.

[3]ول ديورانت ،**قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي**، المرجع السابق، ص295.

التسامح يولد من رحم التعصب بحيث تكون الحاجة إليه دائما في أوقات العنف والحرب التي يكتسبها الدم، فيولد لنا التسامح ويصبح على قيد الحياة وتكمن الحاجة لتسامح في الحرية والضمير .[1]

كما يرى فولتير :" بأن ***التسامح لم ينسب قط في إثارة الفتن والحروب الأهلية في حين أن عدم التسامح قد عمم المذابح على وجه الأرض.*** "[2] لأن التسامح يهدف للحدْ من الفتن والصراعات بين الشعوب ، ويسعى لإصلاحها على عكس التعصب أو عدم التسامح الذي يساهم بشكل كبير في تفشي النزعات بين الشعوب ويؤدي إلى نتائج وخيمة وكذلك تفكك أواصر المجتمع وهدمه. كما يقدم لنا فولتير قصة الابن الذي تخاصما حوله إمرأتان،واحدة تكون أمه الحقيقة والثانية مدعية الأمومة،فلجوء إلى الحكيم سليمان (عليه السلام)فاقترح عليهم تقسيمه في حين تود إحدهما ذبحه، وفي حين الأخرى ترفض فعل ذلك وترك الابن على قيد الحياة وهذا يستدل به فولتير لإثبات الفرق بين التسامح وعدم التسامح وكل نتيجة كل منهما .[3]

وفي دعوته لتسامح الديني يقول فولتير :" ***ما كان ليتهم بالعقيدة لو أقتصر رجال الدين عن إقامة شعائرهم وتسامحوا مع الذين يختلفون عنهم في المذهب*** "[4]. وأكيد أن التسامح عند فولتير لن يتحقق إلا إذا تسامح كل واحد مع من يخالفه في أموره ويسلم بها وتقبله له، وهذا لبناء مجتمع سليم يسوده السلام وخالي من الصرعات يحتكم على العقل في كل الشؤون، وفي هذا الصدد أراد كما يثبت فولتير بأن جميع البشر على إختلافهم فهم إخوان إذا سلمنا برابط الأخوة الذي يتوجب قيامه بين مختلف الأجناس فانه يؤدي لسيادة التسامح في العالم وغياب العنف ويقول في هذا النحو :"**ماذا تجبون أيكون التركي شقيقي ؟والصيني**

---

[1]بن سليمان عمر ،**مفهوم التسامح في الفكر العربي المعاصر** ، دراسة تحليليه لمفهوم التسامح وتأصيله في التراث ، منشورة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران 2 ،2016دكتورا ، ص ص 69-70.

[2]فولتير ،**رسالة في التسامح**،المرجع السابق، ص139.

[3]المرجع نفسه،ص39.

[4]ول ديورانت ،**قصة الفلسفة من أفلاطون الى جون ديوي**، المرجع السابق، ص 29.

شقيقي؟ واليهودي والسامي*اجل بلا ريب أفلسنا جميعا أبناء أب واحد ومخلوقات إله واحد".[1]ونرى بان فولتير استخدم لفظة التركي؛ وهي تعود عن المسلمين سابقا وكما هو ملفت أن فولتير أستهل خطابه بالأتراك أي المسلمين بحيث وهذا ما لم يقم به جون لوك في طرحه لتسامح وأرجع فولتير رابط الأخوة إلى أن جميع البشر أباهم واحد.

فنجد في خطاب فولتير في بادئ الأمر يخاطب المسلمين فيقول في رسالته في التسامح ويقول فولتير في النحو الآتي فيقول لبعض جيرانه من العرب وبلاد العرب."**أصغ إليا؛لأن اله كل هذه العوالم قد بصرني :يوجد تسعمائة مليون من النمل الصغير مثلما على سطح الأرض لكن قرية نملي هي وحدها الأثيرة عند الله(...)؛وقريتي وحدها هي التي ستكون سعيدة ؛ بينما سائر القرى ستكون شقية إلى الآبد** ."[2]

ويعتبر أن هذه الدعوى فيها نوع من الإفراط لدرجة الجنون لكونها تجاوزت حدود العقلانية ، وهذا باعتبار إن فولتير لم يقم حدودا لتسامح وجعله يتسم بطابع كوني وشامل وأكد على أنه لا يمكن إقتصاره على فئة دون أخرى مهما أختلفت الأمور، وكذلك يدعو لتعمم السلام الكوني وأمنه [3], فولتير كان ضد إضطهاد الأفكار والمعتقدات، ومن أقوى المنادين بالحرية الفكر التي لا تحدها حدود ،فإنه جعل حدودا"التسامح "لا يتجاوزها وذلك عندما يتعلق الأمر بالشؤون السياسية .إما عن الشؤون الدينية فيجوز أن يتعدى التسامح حدوده.[4]

---

* **السيامي من السيامية**:اشتق اسم الشعوب السامية من سام بن نوح على أساس أن الساميين هم من سلالة الابن الأكبر لنوح وكان له إخوان (حام ويافث)وبعد تقسيم نوح للأرض بعد الطوفان كانت له بلاد التي أصبحت اليوم مهد للحاضرات بلاد الشرق وفيها الكنعانيون والآراميون . (طوني مفرج ،**موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط** ، دار نوبيليس ، لبنان ، ط 1، 1330 ص21).

[1] فولتير ،**رسالة في التسامح**، المرجع السابق ،ص،163.

[2] عبد الرحمان بدوي ،**ملحق موسوعة الفلسفة**،المؤسسة العربية لدراسات و النشر بيروت ، ط 1، 1992 ص61.

[3]المرجع نفسه ،ص ص 61-62.

[4]محمد عابد الجابري،**قضايا الفكر المعاصر**، مركز الدراسات والوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ص27.

كما أن فولتير يرفض الإلحاد وهذا ما يستبعد عن أن يكون فولتير رجل بلا دين وهذا ما يثبته قوله :" ***أعترف باني لا أوافق ساند راسون الذي أنكر الله لأنه ولد فاقد للبصر وقد أكون على خطاء ولكني لو كنت في مكانه لاعترفت بوجود عقل كبير عوضني الكثير (...) وأنا مشتاقا جدا لرويتك والتحدث معك مهما كنت فأنت جزء هام من ذلك الكل العظيم الذي لا افهمه".*** [1] فنجده يقول في هذا المقام بضرورة الدين: "***لقد وجد الدين ليجعلنا سعداء هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة. ما المطلوب كي نكون سعداء في الآخرة صالحين.وما العمل كي نكون ؟في حدود ما يسمح به بؤس طبعتنا ؟ أن نكون متسامحين*** ."[2] وهذا يعني أن الدين ضروري لشعوب لأنه يتكفل بضبط وظائف الدولة؛ بمعني أن يكون لكل دولة دين على الرغم من انه يعتبر الدين هو الذي يشكل الفتنة عند التعصب له ،وهذا لكونه يعد شيء مقدسا ويثير الخوف لدى الشعوب ،وحديث فولتير عن الدين هنا الذي يود من الدولة أن تتمسك به هو دين الحق الذي لا زيف فيه.

يرى فولتير أن وجود الكنيسة ورجال الدين يعد من أهم معوقات تدم الإنسان نحو العقلانية ، فالتسامح والعدالة ينبعان من الطبيعة في حين ينبع التعصب المسبب في اللاتسامح من الخرافات والأساطير الدينية .[3]بمعنى أن التعصب والدين متناقضان، فيما بينها إذْ يعتبر التعصب بالنسبة للدين بمثابة العدو اللدود له .

هاجم فولتير التعصب للدين والتحمس له وأكد على التسامح بكونه يقضي على التعصب وبين الفضيلة والتي من خلالها يتم القضاء على الخرافة والأسطورة ، ومن خلال كل ما قام به فولتير للقضاء على إشكال التعصب توصل انه لا يوجد حل بديل غير التسامح واعتبره نتيجة حتمية لا مفر منها ، كي يصبح البشر في قمة وعيهم بأخطار التعصب مشيرا إلى أن التسامح الديني هو من ي فولتير في أغلب خطابته لتسامح تكون عادة موجهة لأولئك

---

[1] ول ديورانت ،**قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي**، المرجع السابق، ص299.

[2]فولتير ،**رسالة في التسامح**،المرجع السابق ، ص 159.

[3] محمد بن احمد المفتي ،**نقد التسامح الليبرالي**، المرجع السابق ،،ص26.

المتعصبين لدين المسيحي ،ومنه فولتير جاء للقضاء على كل أشكال التعصب والخرافة الذي طالما اقرناه بالدين ، و يعد هذا الأخير هو من يهدف لتنظيم الحياة الشعوب وكذلك لهدف لنشر قيم المحبة ومن بين أن التعصب عكس ذلك فهو يهدف إلى اللاتسامح والظلم.

وفي الحديث عن التعصب يقصد التعصب الذي يؤدي إلى الجهل الذي يحصل من صاحبه مقنع تماما بأنه على صواب ولا يسعى لتعلم ويرى غيره بأنه على خطاء ولا يمكن في أي حال من الأحوال التسامح معه ،تسبب في ريبية الحقيقة ونسبتيها مستدلا على أن العقل هو من يصلنا للحقيقة المطلقة .[1]

ووجه فولتير دعوته لتسامح إلى المسحيين القائمين على محاكم التفتيش* ***إن كل مقاطعة في ايطاليا لها لهجتها الخاصة بها. فهل ندين سائر اللهجات إذ لم يتكلموا بلهجتنا نحن (...) انه ورد في إنجيل{أحبو الله وقربكم } لكنكم فسرتم هذه العبارة تفسيرا مليئا بالغلطات وأحاطوها بالمجلات التي لا تفهم.***"[2]وبناءا على هذه القول كان فولتير يرفض ما جاءت به محاكم التفتيش،من وحدة اللهجة لان انه يقول بأنه لا يمكن التسليم بهذا ولو قمنا بذلك وأتبعنا قاموس واحد أو لهجة واحدة .وإقامة عقوبات صارمة تتمثل في قطع لسان كل شخص بمجرد انه تلفظ بلغته المحلية التي لا يسمح بها لكونها غير سائدة عندهم وهو يرى عدم الغلو في ذلك ، لأن هذا لم يظهر في أي دين قط ؛ بل هو مجرد تفسيرات لا وجود لها في الكتب المقدسة.

---

[1]فيصل محمد علوي عبد الله صالح علي،**خلق التعايش السلمي والتسامح المجتمعي في الموروث الاجتماعي الغربي**، مجلة الفر اهدي(22) ،ص 359 .

*محاكم التفتيش : مجمع كنسي تتمثل بعض قراراته على رؤساء الأديرة أن يعينوا كاهن بكروتشة مع ثلاث مفتشين علمانيين تكون مهمتهم تفتيش كل بيت وكل متجر بحثا عن الهراطقة وان (...) وكل رئيس يهمل في البحث عن الهراطقة يعتزل من وضيفته ولا يكون له الحق الرجوع عليها في المستقبل(نقلا عن علي ريس ،**الحروب الصليبية من عهد القسطنطنتين الي يومنا هذا وجذورها الدينية** . دار طيبة لطباعة ، الجيزة ، ط1، 2008 ص ص151- 152) .

[2]فولتير ،**رسالة في التسامح**، المرجع السابق،ص164 .

" و قد ظل فولتير "**يصارع بكل ما يملكه من قوة فكرية من اجل انتزاع السلطة السياسية من براثن الكنيسة الكاثوليكية، وليخفف من حدة هيمنتها على الأرواح والعقول وبذالك صدق لمستقبل بنبوءته**""[1]، ففولتير لم تبقى دعوته للتسامح في حدود التنظير فقط بل تجاوزت ذالك فنجدها عملية ، وكذالك نجده انه فتح للعامة سبل التقدم وصرح لهم بالخروج عن السلطة الكنسية لضان السلم والتخلص من مخلفاتها.[2]وبناءا على ما سبق يتضح لنا بان كل ما جاء به فولتير من إضافات يعد مكسبا لفرنسا .

ومع مختلف المذاهب فلم يجد فولتير سبيل واحد هو أن يتوجه إلي الله فيصرح فولتير ***إذا لم اعد إلى البشر أتوجه بل إليك يأرب جميع الكائنات والعوالم و الأزمات فان جاز المخلوقات ضعيفة تائهة في فضاء العالم اللامحدود منك شيء أنت من رسم كل شيء (...) وان نتحارب و سنتذابح فيما بينا أيام السلم و لك في كل لحظة من حياتنا لنبارك معا وبمختلف لغات الأرض منا السيام إلى كاليفورنيا رائفتك التي منحتك هذه اللحظة***.[3]واعدً هذا اللجوء إلى الله بمثابة صلاة إليه وتوسل إليه ألانه هو الوحيد القادر على مخلوقاته لا غيره ،وكذلك أعتبرت هذه الصلاة إلى الله هي أخر ما قاله في كتابه رسالة في التسامح.

وما يمكن التوصل إليه أن الثورات الفرنسية سنة (1848)، في عصر فولتير أنقادت له في مجال الدين أكثر من السياسة ،بإعتبارها تحدت أسس المسحية ، وكان لفولتير التأثير الكبير في مجال الإيمان الديني وبفضله تجنبت فرنسا حركات الإصلاح المسيحية ،وكذلك كان تلاميذ فولتير مدينون له بالتسامح الديني الذي ساد في أوروبا وأمريكا،وكان فولتير

[1]مسودة وهيبة ،**خطاب التسامح في فكر الأنوار**، ص125.

[2]المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[3]فولتير ،**رسالة في التسامح**، المرجع السابق ، ص17.

معاصرا لجون جاك روسو* ويعد فكر هذا الأخير يوجد به نوع من التقارب الفكري مع فولتير [1], فكان روسو منتقدا لدين ورافضا له و كان مثيلا لفولتير في موقفه العدائي من الكنيسة، لدرجة أنهم قد إتهموا بالكفر من قبل الكاثوليك والبروتستانت ,أما عن المجال السياسي كان له قراء أكثر من فولتير لأكثر من مئة مرة وهذا من خلال تلقيحه للفرنسيين بعقيدة سيادة الشعب، وغيرها من المبادئ التي لازالت لدى الفرنسيين ليومنا هذا وبقوا مدنون له بها ، الإصلاح الديني البروتستانتي، وكانت أرائه بمثابة طفرة في الإنتقال من النهضة إلى التنوير ، التنوير أكثر عمقا من تلك إصلاحات البروتستانت .

وعلى الرغم من كل ما أضافه فولتير من أ فكار ذات صدى واثر إلا أنه في طرحه لتسامح لم يسلم من النقد، ففولتير نجده أنه وقع في تناقض مع نفسه تارة يقول بأن الدين ضروري لكل دولة وهذا واضح من خلال نبذه للإلحاد و يؤكد أن الدين مصدر السعادة وهو من يهتم بتنظيم حياة أفراد المجتمع وتارة أخرى يقول بضرورة إبعاد الدين والتخلي عنه إعتبارا منه أنه يعد بؤرة الفتن والتعصب للمجتمع ، وفي الأخير نتوصل بأن فولتير يعد كغيره من فلاسفة الأنوار الذين نادوا بفصل الدين عن الدولة لتعميم التسامح وللقضاء على التطرف.

---

* **جون جاك روسوjacues rousseaupjean(1712.1778)**: ولد بمدينة جنيف ، وهو فيلسوف فرنسي وبروتستانتي ، كتب العديد من المؤلفات أدت إلي شهرته ومن بينها :ا(لعقد الاجتماعي ،الاقتصاد السياسي ، رسالة في التفاوت)، وتوفي في باريس ، (جون جاك روسو ،**العقد الاجتماعي آو مبادئ الحقوق السياسية**، تر : عادل زعيتر ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ،ط2 1990 ص ص07 -20).

[1] و ل ديورانت ،**قصة الحضارة**، مجلد 42، تر: فواد انراوس ، دار الجيل ، لبنان ، د.ط ، -1988,ص ص358_361.

المبحث الثاني: فلسفة التسامح عند جون ستيوارت ميل

ذهب جون ستيوارت ميل* حسب مفهومه إلى أن التسامح لا يقتصر على الأفراد فقط، بل هو أبعد من ذلك ليشمل المؤسسات و المجتمعات بأنواعها، فقد قسمه لنوعان أولهما أخلاقي والآخر غير أخلاقي الذي ينبت الكره داخل كل الفرد ،فأما الأخلاقي فقد إعتبر أن على الفرد أن يسمح بالخطأ لكي يزرع بين الأفراد التسامح ،ومنه نجد أن ميل من أبرز الفلاسفة الذين عالجوا قضية التسامح ،حيث أرجعها إلى إعطاء الأفراد حرية كبيرة وعدم التمييز فيما بينهم في المجتمعات، وحسب ميل حتى يكون مسموح سماع وجهة نظر في إطار الحرية الحديثة ، ولكي يحقق التسامح يجب أن يكون مضمونا ما سبق ليتم القبول بالأفكار[1]. فلكون ميل من رواد التسامح فقد ربط مفهوم التسامح بالحرية المطلقة ،مع عدم التدخل في حرية الفرد إلا إذا كانت تشكل تهديدات حريات للآخرين،وبالنظر إلى التسامح حسب ميل فقد أرجعه إلى الحرية الفردية الناتجة عن القانون الغير مكتوب ،أو الضغط الناتج من العادات والتقاليد ،حيث كان يأمل في توسيع دائرة التسامح من خلال الحقل الديني والسياسي إلى حقل الأخلاق والسلوك وإلى كل حالة شخصية للفرد ،ومنه أصر ميل على فصل الدين عن الدولة وربط التسامح بالحرية المطلقة للفرد.[2]كما يعتبر ميل بأن التسامح هو القوة الإجتماعية التي يتسم بها الفرد داخل المجتمع ،وقد إعتبر بأنه لا يمكن إمتلاك حياة مميزة لكل أفراد المجتمع ،إلا في ظل السماح بحرية التعبير ،وهذا من خلال ضبط النفس من طرف الأشخاص الذين يملكون قوة في النظام السياسي أو السلطة. [3]

---

*جون ستيوارت ميل 1803-1873، **john stuart mill**فيلسوف انجليزي من دعاة المذهب الوضعي، حيث اعتبر المادية والمثالية قطبين ميتافيزيقيين، كما طور المنهج الاستقرائي في الروابط السببية،وتأثر بالمذهب النفعي لبنتنام في علم الأخلاق، ودفع على نظرية مالتوس في السكان، (رونالد سترومبرج ، **تاريخ الفكر الأوروبي الحديث**، ترجمة أحمد الشيباني، دار السعودية للنشر والتوزيع، جدة ، بدون طبعة، ص 710).

[1]عبد القادر الشيخلي، **ثقافة التسامح(ضرورة أخلاقية و إجتماعية وسياسية)**، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض ،ط1،2017،ص21.

[2]محمد بن أحمد مفتى ،**نقد التسامح الليبرالي** ،مجلة البيان ،العدد128،مركز البحوث والدراسات ،ص27

[3]عبد القادر الشخلي، المرجع السابق، ص22.

إلا أن ميل لم يهمل الفعل الإجتماعي ،حيث نادى بأنه يكفل جميع الأشخاص من أجل أن لا يلحق الضرر بالآخرين ،و نشجع على تعلم الفضائل وإحترام الذات وذلك بإستخدام حريتهم مع عدم المعارضة للمجتمع والحكومة ،كما عارض ميل من يدعون إلى إستحالته التمييز بين الجزء الخاص بالفرد والجزء الخاص بالمجتمع ،وقد دعا كذلك ميل إلى معاقبة من يلحق الضرر بالآخرين ، ولكن على الرغم من هذا يجب أن نتسامح مع الذي مع الذي لا ينتهك واجبا من أجل حرية أكثر.[1]

لم يهمل ميل التغيرات في المجتمع بمختلف أشكالها ،فأعتبر أن سماح المجتمعات الحرة للآراء السياسية ،هو تجنب حدوث تغيرات ثورية والتحيز إلى حدوث تغيرات تدريجية في مجالي التنمية السياسية و الإجتماعية ،فقد ربط ميل مفهوم التسامح بالحرية ،ورأى بأن غياب التسامح يعني إنعدام الحرية ،أي لا وجود للحرية إن لم يكن التسامح موجود في المجتمعات ،كما نرى بأن هناك من يميز بين النظام الديكتاتورية والحر، من خلال وجود أو عدم وجود التسامح ،فمن هنا نجد بأن في المجتمعات سلطة الحاكم المسيطرة التي لا حرية فيها للفرد على عكس الفرد الحر ، والتي يميزونها من وجود أو عدم وجود التسامح.وحسب ما ورد ذكره من مفاهيم التسامح لميل ،فنجد أنه يتناقض مع المفاهيم الأخره ومع اللاتسامح ، وكذلك الإنغماس الذاتي ،فإذا كان اللاتسامح يعني عمل مخالفة بواسطة الإجبار ، فإن الإنغماس الذاتي يعني المبالغة في التسامح ،حيث يرى ميل بأنه يمكن التعامل مع التسامح على أساس أنه إنعكاس وبه تعرف اللاتسامح؛ فحسب ميل يوجد ثلاث مبادئ أخلاقية أثرت في دعم مفهوم التسامح فهي المنفعة و الحياد و احترام الأفراد،،وعليه فميل ربط مفهوم التسامح عامة بفكرة التسامح الديني الذي تؤكده حرية العقيدة الدينية للأفراد.[2]

---

[1]ليوشتراوس جوزيف كروبسى، **تاريخ لفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر**،ج3 ،تر: محمود سيد أحمد، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ط 1، 2005، ص ص 463-464.

[2]عبد القادر الشيخلي، **ثقافة التسامح (ضرورة أخلاقية إجتماعية سياسية)** ، المرجع السابق، ص ص 22-23.

حيث توصل ميل إلى أن إنتقد مجتمعه على معاقبتهم للأفراد الذين يرتكبون المخالفات كالمعاشرة بدون عقد زواج أو العمل في أيام العطلة الدينية ،فهو يرى بأن مثل هاته الممارسات تندرج ضمن حرية الفرد ،ولا يمكن لأي أحد أن يتدخل فيها أو له الحق في معاقبة فاعلها ،لأن مثل هذه التصرفات حسب ميل تعتبر قهر من قبل الدولة ،وعليه لا يمكن لحرية الفرد أن تزدهر في ظل الإستبداد الإجتماعي، وعليه نستطيع القول أن ميل كرسه جهده لحماية الحرية الفردية من خلال التسامح، وقد رأى بأن هذا يتوفر إذ فصلنا الدين عن الدولة ،فلعدم التسامح التدخل في حرية الأفراد ،وعليه فكتاباته ساهمت في دعم القيم الليبرالية التي نادت بربط التسامح بالحرية الفردية ،حيث أصبح العمود الفقري لليبرالية لإرتكازه على أسس فكرية معينة، وعليه نجد التسامح الذي نادى به ميل مبني على العلمانية القائمة على فصل الدين عن الدولة من أجل إزدهار التسامح في المجتمعات.[1]

يعتبر ميل أحد رواد مبدأ الإستقلالية ، وعليه فالمطالبة بإحترام الإستقلالية هي نفسها إحترام التسامح ،لأن الإستقلالية تعد أساس التسامح ،كما نرى بأن ميل يدافع على التسامح من خلال كتابه الحرية ،حيث أن الفرد حسب ميل يحقق سعادته بناءا على تطويره لطبيعته بنفسه ، وعليه فنرى بأن هذا التطور تعتمد عليه الفردية ،التي يحقق من خلالها الفرد التمتع بالحرية ،كما نجد بأن السعادة تعد مصلحة في تشكل حياة الأفراد حيث أنها تكون من نتاج طبيعته في العيش من جانبها الأخلاقي ،وعليه إن وجد هذا الجانب في الأصل لأن الفرد يختلف من فرد لآخر [2] ؛كما نجد ميل كذلك في كتابه عن الحرية بين طبيعة السلطة وحدودها من أجل قيام المجتمع بها بطريقة قانونية ،لكي تمنع الفرد بإلحاق الضرر للآخرين ،مع عدم إجباره على ما يقوم به الآخرون على أنه خير بالنسبة له ،أي أنه ما هو خير عند فرد قد يكون شر بالنسبة للآخر ،وعليه فميل يرى بأنه لا يمكن الإستغناء على مثل هذا المجتمع بالنسبة لأناس أحرار.

---

[1] محمد بن احمد مفتي، نقد التسامح اللبرالي المرجع السابق ،ص ص27-29.

[2] بيجان شاهين ،**التسامح من قيم اللبرالية**، تر: على الحارس ، منشورات المتوسط ،ايطاليا ، د ط ، د س،ص ص 72-74.

المبحث الثالث : تقيـــــم ونقـــــد لأراء لوك

من البين أن من دواعي ظهور التسامح في أوربا خلال عصر النهضة وعصر التنوير من المؤكد انه كان إزاء الحروب الدامية كحرب الثلاثون عام والصراعات الفتاكة بين الطوائف والمذاهب إبان القرن السابع عشر، بحيث عرفت تلك الفترة بأنها كانت بأمس الحاجة لنشر الوعي و ثقافة التسامح والقيم الأساسية الهادفة لرفض الوضع المعاش ، كما لا ننسى بأن أوربا تعد مهد الثقافات المختلفة، أي أنه من الصعب التحكم في الوضع الذي لم يمنع من البحث عن مخارج عدة ، حيث يعود فيه الفضل للعقل الأوروبي، بالرغم من تعرضه إلى التجميد وخاصة ما تلقاه فلاسفة عصر التنوير من إنتقادات وهجمات ،فمنهم من نفي فنجد إلى سبيل المثال جون لوك ،فأما فولتير فقد تم سجنه،فكل هذا كان من أجل بناء مجتمع خالي من العنف والقوة ، مهدوا للتسامح وأعتبروه ضروري بالنسبة لكل فرد في المجتمع ؛أي أن وجوده كوجود الإنسان في حد ذاته ، فبوجود فكرة التسامح نرى بأن المجتمع أكيد أنه سينعم بالسلم والاستقرار،على عكس ما كان عليه سابقا ، بحيث يتحول الوضع من الإضطهاد إلى الأمن ،ومن التعصب إلى التسامح وتقبل الغير وللتذكير أننا قد تطرقنا لمفهوم التسامح عند بعض الفلاسفة أمثال جون لوك ،و فولتير، وجون ستيوارت ميل ، ووجهة نظر كل منها للتسامح ومن هذا المنطلق نشير إلى جملة من الإنتقادات التي واجهت لوك في التسامح لطرحه .

بعد أن تطرقنا لفلسفة التسامح عند جون لوك وحدودها ومبادئها، نجد بأن دعوته لتسامح تحمل العديد من الإيجابيات التي تهدف لخدمة المجتمع، كما أنه حاول من خلال التسامح أن يجعل كل فرد يتحلى بالحرية الإنسانية ،فدراسة لوك لفكرة التسامح لم تكن لدافع ذاتي متعلق به ، بل تجاوزه إلى أن، أصبح عقليا محضا وفقا لتحليل السليم للكتاب المقدس. وعلى هذا نرى بأن، هناك أسبابا جعلت لوك يعرض لنا دعوته للتسامح وهذا ما نجده في رسالته الأولى، ومنها أولا "أنه لا يجب على الكنيسة أ ن تضطهد أي إنسان لسبب عقيدته

[1]"لكون الحرية ملك الجميع ،أما ثانيا"أخطاء التأمل في الإنسان، الخطاء حين يفكر نظرا أو يتأمل أفكاره وهذا يؤدي حتما إلى غموض المعرفة ."[2]

بالرغم من أن لوك أول من دعا للمساواة والحرية لأفراد المجتمع ،إلا أن ما يعاب عليه في عرضه لتسامح ،أنه لا يتسم بالمطلق ، ولا محدود فهو لا يشمل كل الطوائف، كما أن التسامح عند جون لوك كان في حدود الدين المسيحي ولم يشمل غيره وهذا ما نزع منه طابع التسامح الكوني الذي جاء به فولتير ، من التسامح المسيحيين مع أنفسهم ،أو بالأحرى أنه يبخل منه بعض الطوائف وذلك عندما قام بإستثناء طائفة الملحدين والكاثوليك، وهذا ما جعل دعوته تسير في مجال ضيق مع العلم أن التسامح يعد كمبدأ عالمي، يجب أن يشمل جميع الطوائف ولا يقم على فئة دون أخرى أي الغير متدينة.

كما أن التسامح لدى جون لوك سياسي في عمقه بغض النظر عن صورته الدينية مادامت الغاية منه إعطاء طابع أخلاقي للخلاص، والعمل على تقوم أدوار الكنيسة من ناحية الشريعة ،بالإضافة إلى تمتع الحاكم المدني بكل صلاحيات الحكمة لهدف التحصين الأمور الدنيوية للمواطنين من كل حيف كنسي .[3]

"لقد وقع فلاسفة التنوير في أوروبا في تناقض ملفت عندما قاموا برفع شعار التسامح كمنفذ لتخلص من الخلافات الدينية وعدلوا عنه نوع من اللاتسامح ، وهذا عندما يتعلق الأمر بالقضايا السياسية والوطنية وغيرها من القضايا المطروحة في العالم ، فنجد منهم من تسامح مع الإستعمار واعتبروه وسيلة ضرورية لتمدين الشعوب الغير متحضرة ولم يلتفتوا لجملة النزاعات العرقية التي يتولد عنها العنف والتطرف .[4]

---

[1]رواية عبد المنعم عباس ،**جون لوك أمام الفلسفة التجريبية**، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت ، 1992 ، ص119.

[2]المرجع نفسه، ص117.

[3]محمد غنام ،**قراء ة في رسالة جون لوك رسالة في التسامح**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود ، 12مارس2019 ، ص21.

[4]محمد عابد الجابري ،**قضايا في الفكر المعاصر**،مركز الدراسات الوحدة العربية ،لبنان ،ط1 ،1997،ص32.

على الرغم من كل ما قدموه الفلاسفة في دعوتهم لتسامح وقننوا له العديد من التعاليم والضوابط ،وحاولوا جعل التسامح كمبدأ إنساني يجب التسليم به للخروج من أزمة الصراعات التي عرفتها أوروبا في عصر التنوير ، غير أن في دعوتهم لتسامح، يوجد هنالك بعض الخفايا التي إكتست بطابع التسامح إلا أن به نوع من اللاتسامح.

فنظرية لوك القائمة على فصل الدين عن الدولة تحمل في طياتها نوع من التناقض ،لأنه لا يمكن إن يقع هذا الفصل لكون الدين هو من يضبط شؤون الأفراد ولو لم يكن لذالك الربط قيمة لدولة ، لما نزلت في حقها العديد من الكتب السماوية وختماها الدين الإسلامي فيقول تبارك وتعالى : " **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**"[1] لأن الدين هو الوحيد من يكفل حياة العباد ويسيرها على أكمل وجه وكانت دعوته لتسامح شبه شاملة،إلا أنها لم يشمل منها المسمين فيها قدرهم من خلال ، ما تعرضوا له من قبل الاستعمار (البريطاني) وهذا معنى أن لوك لم يكن النموذج المناسب لمعنى التسامح ،كما كان عليه كتسامح الذي يوجد في العراق والشام لكونهم يتميزون بتعايشهم وتفاهمهم مع أهل الذمة من فرق النصارى واليهود ...الخ ،وهذا يعني أنهم كانوا يتمتعون بسلم معهم ،وهذا ما حال بهم إلى العروبة ،[2] ومع هذا كله فلوك لم يفهم المغزى الحقيقي لتسامح وهذا لعدم تعممه بين المذاهب المختلفة من الكاثوليك البروتستانت و.الأرثودوكس* وهذا معنى أن ما قام به لوك في دعوته لتسامح لإن لم يأتي بأية فائدة،وكانت مساعيه في مهب الريح ولم يساهم في حل النزعات بل ظلت أفكاره في حدود التنظير .

---

[1] ال عمران الآية 19.

[2] إبراهيم مصطفى إبراهيم ،**الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، دار الوفاء دنيا الطباعة والنشر الإسكندرية، د ط 2001،ص ص296 -297.

*الأرثوذكس: (orthodox) باليونانية تعني الرأي الصحيح ، أما في اليهودية الاثوذكسية مصطلح لتميز اولئك اليهود الذين يعتمدون تفسيرا متزمتا وحرفيا لتوراة ، مقارنة باليهودية المخالفة ،أو التي عملت على تعديل القوانين الدنية بما يتماشى و الصروف .(كارين ارمسترونغ ، **الحرب المقدسة (الحملات الصليبية وأثرها على العالم اليوم)** ، تر:سامي الكعكي ، دار الكتاب العربي،بيروت ،لبنان ،د ط ،2005ص675-676) .

وفي دراسة التسامح لدى العرب و المسلمين ،فنجد أن هناك تيارين الأول منها يرفض قطعيا التسامح على مختلف الأصعدة الدينية أو الاجتماعية ...الخ ، بحجة أنهم يمتلكون الحقيقة بمجملها ،في حين نجد التيار المعاكس الذي يعتبر تيار إصلاحي يقبل بعض أفكار التسامح بدليل مواكبة تطور العالم ،وبأن الدين الإسلامي سمح و أصروا على التمسك به [1]، ولأن التسامح يعد من أهم القيم النبيلة ذات الأثر الإيجابي للمجتمع ،وخاصة أن الدين جاء داعيا له ،ومما لا شك فيه أن المسلمون يستمدون ثقافة التسامح من القرآن الكريم ،لكونه أول أعظم مصدر وجاء مخاطبا للعقل بغير إكراه النفس على أن تستقر، وثاني مصدر السنة النبوية التي جاءت شارحة وتعد بمثاب بيان نظري وتطبيقي في أن واحد، لما جاء في القرآن فيقول تبارك وتعالى :"بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44) "[2]وكذالك يعد الصحابة (رضوان الله عليهم)كثالث مصدر لثقافة التسامح .[3]

كما ذكرنا أن ضمن معالجة موضوع التسامح لدى العرب والمسلمين وعن المؤيدين والمعارضين له، فنجد من بينهم من يجعله في دائرة ضيقة ويعتبره مفهوم حديث وغريب عن البيئة الإسلامية من أمثال محمد أركون ، فنجد أيضا من يوسع من دائرة التسامح أمثال الجابري ،إذ يرى هذا الأخير بأن التسامح بلفظه لا يعد أصيلا ،بل هو غائب في مجال الفلسفة فيقول في هذا المنطلق :***ظهرت كلمة التسامح*(tolérance) أول ما ظهرت في كتابات الفلاسفة وعلى حواشي الفلسفة في القرن السابع عشر للميلادي زمن الصراع بين البروتستانت والكنيسة الكاثوليكية**[4]، ويقدم لنا الجابري نموذج آخر في التسامح مع الآراء

---

[1]عبد الحسين شعبان،**فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي**، دار آراس للطباعة والنشر، العراق، ط 2، 2011، ص166.

[2] النحل الآية / 44.

[3]محمد حسن مجمد المزين ،دور **الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدى طلبتها من وجهة نظرهم**، منشورة ، كلية الأدب، جامعة الأزهر ،غزة، 2009 ، ماجستير ، ص 169.

[4]محمد عابد الجابري ،**قضايا الفكر المعاصر**،المرجع السابق ، ص 25.

المخالفة نجد إبن رشد*، ويبلغ التسامح عنده قمة العدل لكونه يتقبل أراء الغير وأكد على ضرورة الإطلاع عليها والأخذ منها ما يتناسب معهم وترك مادون ذلك ، بدليل أن المعرفة تراكمية و إبن رشد قد أعذر الخصوم في أرائهم بدليل أنهم لا يعلمون ولذا يجب تقبلهم ، ووفقا لهذا يلوم الغزالي في عدم تفهمه بتقبل رأي الآخرين وبحكمه على أنهم واقعين في الخطأ بل حكم عليهم بالفساد دون إعتبار المقدمات التي أدت بهم لذلك ، فإبن رشد يرى أنه من العدل أن نسلم بحجج المخالفة لنا ، كما نسلم بالحجج التي نقدمها لمن يؤيدنا وهذا من باب التسامح وتقبل رأي الآخر ووضح الجابري على أن إبن رشد أرتقى بالتسامح بمقام أعلى وهو العدل الذي يستوجب الأخذ بحجج الغير مثل الأخذ بحجج النفس ،ومن مستوى أعلى منه وهو الإيثار، ولأن التسامح يحمل في طياته العدل، وهذا الأخير يتطلب المساواة وعند الجمع بينها ، وعند إعطاء الأولوية للغير في ظل المساواة ،هذا هو التسامح بعينه فحينها يتحول التسامح هنا إلى إيثار.[1]

كما سبق وإن ذكرنا بأن الجابري وسع من دائرة التسامح وإعتبرها وليدة مع الفرق الكلامية(القادرية **المرجئة***)، اللتان سادا في عصرهما الخلاف والفتنة ، وجاءوا لتأكيد على التسامح بين المذاهب من جهة ،وإقرار بحرية الإنسان وبالتالي مسؤولية من جهة أخرى، واعتبروا أن التسامح يظهر في معنى الإيمان ،علما أنهم تزامن عصرهم مع الحروب

---

*ابن رشد(520.595هـ)(1126-1198م) :هو أبو الوليد محمد بن احمد بن رشد يعود أصله إلى بن رشد التي كانت لها علاقة مع الدولة ، وكانت لهم مكانة مرموقة في المجتمع الأندلس في قرطبة ، كان حافظا للقران الكريم وطبيبا، وفي خمسة وسبعون عاما75م في الدراسة والترجمة والبحث والتأليف ، ومن اهم ولفاته (فصل المقال ، تهافت التهافت، بداية مجتهد). (محمد عابد الجابري ،**ابن رشد سيرة الفكر**، مركز الدراسات الوحدة العربية ، لبنان ،ط1 ، 1998، ص ص 39- 42.

[1]المرجع نفسه ، ص ص22_ 30.

القدرية :أقدم، فرقة فلسفية إسلامية تعود تسميتها إلى (القدرة)وذالك معارضة للجبرية من معنى (الجبر)وكان علماها يقولون بقدرة الإنسان على أعماله، وفي هذا مناقضة لقدرة الله . (طوني مفرج ، **موسوعة المجتمعات في الشرق الأوسط، مجلد 4، دار نو بيليس، لبنان ، ط 1 ،1990 ، ص159.).

***المرجئة: قامت المرجئة على مسار القدرية والمعتزلة، وكان ركنهم الأول تعليم المرجئة إرجاء الحكم على أصحاب الكبائر، وعدم التعليم بإخراجهم من الإيمان (المرجع نفسه ص ص16-16) .

وإنقسامات المسلمين ومسائل التكفير والإيمان ، فكان خطابهم حسب الجابري إسلامي ديني محض ذو بعد سياسي يعتمد على العقل ويحتكم من القرآن والحديث، لكونهم جيل مثقف لم يخرجوا عن القضايا المطروحة لدى المسلمين آنذاك كالإمامة والتكفير ، وأقروا بعدم تكفير مرتكب الكبائر وأعتبروه مؤمن، ولهذا الإيمان هو التصديق بالله ومحله القلب، أما الإعلان عنه باللسان لا يعد مهما وهذا نموذج عن الإسلام بمعنى الحقيقي .[1]

وكنموذج هنا في التسامح يقدم لنا الجابري أبو حنيفة *ورأيه حول الإيمان في كتابه(الفقه الأكبر) ،عندما طرحت عليه العديد من الإفتراضات الغريبة فكان يجيب كل مرة (بأنه مؤمن)، وعلى سبيل المثال طرح عليه "زعم أن الله فرض الحج إلى الكعبة غير انه لا يدري لعلها كعبة غير هذا المكان" ، العلم أن أبو حنيفة هو أدرى بالحقيقة ولم يبديها وهنا يظهر معنى التسامح عنده ، وبناء على ذلك كله توصل الجابري بأن المتكلمين المسلمين من الجيل المثقف الذين إرتقوا بمفهوم الإيمان إلى الإعتدال والتسامح ،أي قريب من مصطلح الليبرالي على حد تعبيره .[2]

ومن خلال ما سبق نتوصل إلى أن الجابري أراد من التسامح أن يكون واسع وشامل للقضاء على كل أنواع الفتن، وهذا من أجل سيادة مجتمع متحضر وحرُ.

---

[1]محمد عابد الجابري ،**المثقف في الحضارة العربية**، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2000 ، ص ص 42-44.

*حنيفة النعمان بن ثابت: و لد في الكوفة سنة (70هـ-699م) وهو فقيه عربي وإمام المذهب الحنفي ،،تولى التدريس اجتهد في الفقه وقال بالقياس وفي كل الأحوال ، وله (مسند أبو حنيفة للفقه الأكبر).توفي بسبب التعذيب داخل السجن في سنة(150هـ -727م) .(جورج ألطرابيشي ،معجم الفلاسفة ،ص27).

[2]محمد عابد الجابري ،**المثقف في الحضارة العربية**، المرجع السابق، ص45.

خاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع توصلنا لنتائج التالية:

يتجلى لنا أن التسامح كموضوع في ظاهره ليس موضوعا فلسفيا،إلا أنه تبين لنا من خلال دراستنا انه عكس ذلك،،فهو يعد من أقوم المواضيع في الفلسفة بمعنى أن التسامح والفلسفة لهما نفس الهدف ،وكلاهما يحتمل النسبية، ويقومان على الإختلاف وتقبل الآخر.

يعتبر لفظ التسامح كفكرة ظهرت على أنقاض الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت ،كما أنه تطور على يدٌ فلاسفة العصر الحديث عموما وفلاسفة التنوير خصوصا وتجسد الهدف من ظهوره والدعوة إليه في القضاء على التعصب والتطرف الذي ساد الشعوب في القرن السابع عشر.

دعوة جون لوك لتسامح كانت عملية محضة،وكانت اقرب لسياسة اكتر من الدين وهذا من خلال المبادئ والحدود التي وضعها للتسامح، كما تعد بمثابة طفرة للإنتقال من المجتمع سيطرت عليه الرجعية ويؤمن بالخرافات إلى مجتمع يؤمن بما يمليه عليه العقل ،أي أن جون لوك هو من قام بإرساء تعاليم الليبرالية ناشدا بذلك الوصول لمجتمع علماني يتميز بفصل الدين عن السلطة ، لوك سياسيا أكثر منه دينيا .

نادى فولتير لتسامح إعتبارا منه أنه هو الحل البديل لتقليل من هيمنة الأنظمة الطاغية التي تمارس الحكم بإسم الدين،إلا أنه يحتكم للعقل والدين في تسيير حياة المجتمع ، وكما أن ميل ربط مفهوم التسامح بالحرية ودعا للإستقلالية الفرد عن الدولة وفسح المجال للإعتقاد الديني لتحديد نسبية ومطلقيه التسامح.

طرح لوك لموضوع التسامح كان بمثابة مبادرة هادفة إلا إنها تحمل في طياتها اللاتسامح وبهذا يعد غير شامل،فلهذا نجد التسامح الحقيقي والشامل في الدين الإسلامي ، بحيث ارتقى إلى أعلى المستويات .

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا : قائمة المصادر

1. جون لوك ،**في الحكم المدني**، تر: ماجد الفخري ،اللجنة ، دمشق ،ط. 2009
2. جون لوك ،**الحكومة المدنية**، تر : محمود شوقي الكيال ، الدار القومية لطباعة والنشر ، د م ،د ط ،دس .
3. جون لوك ،**رسالة في التسامح**، تر : منى أبو سنه، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، ط 1، 1997 .

ثانيا :قائمة المراجـــــــع

1. إبراهيم مد كور،**المعجم الفلسفي**،الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ،د ط ،1993 .
4. إبراهيم مصطف إبراهيم ،**الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم** ، دار الوفاء لبناء لطباعة والنشر ، مصر ، د ط ، 2001
2. ابن منظور ،**لسان العرب** ،ج2،دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط 1،2003.
3. آبي بكر الرازي ،**مختار الصحاح**، د ط ، 1329هـ .
5. احمد شلبي ، **مقارنة الأديان المسحية**، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،ط1 ، 1998
4. أندري لالاند ،**موسوعة لالاند الفلسفة**، تر: خليل احمد خليل ،المجلد الأول ، منشورات عويدات ،بيروت ،ط2 ،2001 .
6. برتراند راسل ، **تاريخ الفلسفة السياسة**،ج3، تر :محمد فتحي الشنيطي ، المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، د ط ،1977.

ثالثا :قائمة الموسوعات والمعاجم

5. جميل صليبا ،**المعجم الفلسفي**،ج 1،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،د ط ، 1982.
6. جميل صليبا ،**المعجم الفلسفي**،ج2،دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،د ط ،1994.
7. جورج ألطرابيشي ،**معجم الفلاسفة**، دار الطليعة لطباعة و النشر، بيروت ، ط 3 ،2006.

7. جون دن،**جون لوك مقدمة قصيرة جدا**، تر: فايقة جرجس حنا ، مؤسسة هنداوي لتعليم الثقافة ،القاهرة ،د ط ، 2012
8. جون جاك روسو ، العقد الاجتماعي او مبادئ الحقوق السياسية ، تر : عادل الزعيتر ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ،ط2 1990 .
9. رواية عبد المنعم عباس ،**جون لوك إمام الفلسفة التجريبية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، د ط ،1992
10. رونالد سترومبرغ ، **تاريخ الفكر الأوروبي الحديث**، تر:احمد الشيباني ، دار القارئ العربي ، القاهرة ، د ط ،1977
11. صالح عبد الرحمان الحسين ،**التسامح والعدوانية بين الشرق والغرب**،إصدار مؤسسة الوقف الإسلامية .الرياض ط1 ،2008 .
8. طوني مفرج ،**موسوعة المجتمعات في الشرق الأوسط**، المجلد 4، دار نوبيليس، لبنان ، ط 1 ، 1995 .
9. طوني مفرج ، **موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط ، المجلد 1**،دار نوبيليس ، لبنان، ط 1 ،1990.
10. عبد ا لرحمن بدوي ، **ملحق موسوعة الفلسفة**،المؤسسة العربية لدراسات والنشر ،بيروت ،ط1 ،1992.
12. عبد الحسين شعبان ،**فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي**، دار آ رأ س لطباعة والنشر ،العراق ، ط2 ،2011
13. عبد القادر الشيخلي، **ثقافة التسامح** (ضرورة أخلاقية واجتماعية وسياسية) ،مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ،الرياض ،ط 1 ،2017 .
11. عبد المنعم الحقنى ،**المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية** ، مكتبة مدبولي ، ط3، 2000.
14. علي الريس ،**الحروب الصليبية من عهد قسطنطين إلى اليوم وجذورها الدينية** ، دار طيبة للطباعة ، الجيزة ، ط1 ،2008 .
15. فولتير، **رسالة في التسامح** : تر، هنريت عبودي ، دار بترا لنشر والتوزيع ، دمشق ،ط1 ،2009 .

16. كارين ارمسترونغ ،**الحرب المقدسة (الحملات الصليبية وأثارها على العالم اليوم)**، تر سامي الكعكي .دار الكتاب العربي ، لبنان ،د ط ،2005

17. ليوشتراوس جوزيف كروبسى ،**تاريخ الفلسفة السياسية من جون لوك إلى هيدجر**، ج3 ،تر: محمود سيد أحمد

18. ماجد الغرباوي،**التسامح ومنابع اللاتسامح**، معهد الأبحاث والتنمية الحضارية ،لطباعة والنشر،العراق ، ط 1 ،2007

12. مانع بن حماد الجهني ،**الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالمية ، الرياض ،ط 3 ،1418 هـ

13. محمد الدين الفيروز ابادي،**قاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة لطباعة والنشر والتوزيع ، ط 2 ،2005.

19. محمد بن علي الجرجاني ،**كتاب التعريفات**،د م ،دط ،دس

14. محمد سبيلا و نوح الهر موزي ،**موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة**، منشورات المتوسط ،ط1 ،2017.

20. محمد عابد الجابري ،**ابن رشد سيرة وفكر**، مركز الدراسات الوحدة العربية ، لبنان ط1 ، 1998.

21. محمد عابد الجابري ،**المثقفون في الحضارة العربية**، مركز الدراسات الوحدة العربية .بيروت ، ط2 ،2000

22. محمد عابد الجابري ،**قضايا في الفكر المعاصر**، مركز الدراسات والوحدة العربية . بيروت ط 1 .1994

23. محمد محمود سيد احمد،**أعداء الحوار**، دار الوعي لنشر والتوزيع الرياض، ط1 ،1424هجري .

24. مراد وهبة ،**التسامح الثقافي**، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ،1987.

15. مراد وهبة ،**المعجم الفلسفي**، دار قباء الحديثة لنشر و التوزيع ،القاهرة ،ط1، 2007.7

25. ول ديورانت ،**قصة الحضارة**، تر : فؤاد اندرواس، دار الجيل، لبنان، د ط ، 1988.

26. وليام كلي رايت ،**تاريخ الفلسفة الحديثة**، تر : إمام عبد الفتاح إمام ، التنوير لطباعة والنشر ، لبنان ، ط1 ، 2010.

27. يبجان شاهين ، **التسامح من القيم الليبرالية** :تر علي الحارس ، منشورات المتوسط ،، ايطاليا .

28. يوسف كرم ،**تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف ، القاهرة ، ط

29. Dictionary English ,oxford p127

.16

رابعا:قائمة الأطروحات الجامعية

17. بلال صفي الدين ،**مؤتمر التسامح الديني في الشريعة الإسلامية ، مفهوم التسامح في الإسلام وصلته بمفهوم الواجب**، دراسة تطبيقية، جامعة د مشق، 2009

18. مسودة وهيبة ،**خطاب التسامح في فكر الأنوار**،منشورة كلية العلوم الاجتماعية ،،جامعة ألسانية، وهران، 2011 ،،ماجستير .

19. عبد الرحمان بن احمد بن صفر ألغامدي ،**حقيقة التسامح الديني في الفكر الغربي وموقف الإسلام منه** ،منشورة ، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى ، السعودية ،2014 ، ماجستير .

20. محمد حسن محمد المزين ، **دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدى طلبتها من وجهة نظرهم**، منشورة كلية التربية ، جامعة الأزهر، غزة،2009. ،،ماجستير.

21. بن سليمان عمر،**مفهوم التسامح في الفكر العربي المعاصر** ، دراسة تحليليه لمفهوم التسامح وتأصيله في التراث ، منشورة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة وهران 2 ،2016كتوراه.

خامسا :قائمة المجلات والدوريات

22. احمد عبد الله الصعيدي،**ضرورة وحدود التسامح في(محاولة التسامح الديني جون لوك)**، مجلة واسط للعلوم الإنسانية ، العدد (11) ، جامعة صنعاء ،كلية الأدب .

23. صالح شقير وساطع نسيب رضوان ،**تفعيل مفهوم التسامح فلسفيا**، مجلة تشرين للبحوث و الدراسات العلمية المجلة .

24. عبد الواسع محمد غالب الغشيمي ، أمير فاضل سعد،**التسامح الإسلامي قراءة في معطياته الفكرية وآثاره الواقعية في ضوء الكتاب والسنة**،مجلة التشريعية والدراسات الإسلامية، العدد(21)

25. فيصل محمد علوي ،عبد الله صالح علي خلف ،**التعايش السلمي والتعايش المجتمعي في الموروث الاجتماعي الغربي**، مجلة الفراهيد ي ،العدد(22)، 2015

26. محمد بن احمد المفتي ،**نقد التسامح اللبرالي**، مجلة البيان ، العدد 128 ، مركز البحوث والدراسات.

27. محمد غنام ،**قراءة في رسالة التسامح عن جون لوك**، مؤسسة مؤمنون بلا حدود لدراسات والأبحاث ، 2019 ،

28. معزوز عبد العلي،**دراسات مدارات التسامح**،(تبيين ،ع 4، 2013) .

29. نادية الو ريمي ،**في مفهوم التسامح**، منشورات مؤسسة مؤمنون بلا حدود لدراسات والأبحاث ، ط1 ،2015.

فهرس المحتويات

الفهرس	الصفحة
الإهداء	
شكر وتقدير	
مقدمة	
الفصل الأول : التسامح بين المفهوم والتاريخ	
المبحث الأول : مفهوم التسامح	
المبحث الثاني :تاريخ التسامح	
الفصل الثاني : فلسفة التسامح عند جون لوك	
المبحث الأول : مفهوم التسامح عن جون لوك	
المبحث الثاني : مبادئ وحدود التسامح عند جون لوك	
المبحث الثالث : مظاهر التسامح عند جون لوك	
الفصل الثالث : أراء مخالفة لفلسفة التسامح عند جون لوك	
المبحث الأول : فلسفة التسامح عند فولتير	
المبحث الثاني : فلسفة التسامح عند جون استوارت ميل	
المبحث الثالث : نقد وتقيم	
خاتمة	
قائمة المصادر والمراجع	
الفهرس	

ملخص:

تعالج هذه الدراسة إشكالية التسامح عند جون لوك من وجه نقدية.

يعد مفهوم التسامح حديث الولادة وفي القرن السابع عشر على يد الانجليزي جون لو ك الذي اعتبره بمثابة حل للقضاء على أشكال التعصب و الاضطهاد,إلا أن تلك الدعوة التي قام بها لوك كانت تحمل بذور فنائها بذاتها ,لأنها اتسمت بطابع التسامح ,وتكمن الغاية من نقد التسامح هو الكشف عن الوهم الذي تكتسبيه الأنظمة الغاشمة وما هو إلا مبرر للوصول إلى العنف,ولبناء مجتمع مدني خالي من الصراعات يتوجب نشر الحرية والعدل

الكلمات المفتاحية

التسامح , الحرية ,التعصب,الاعتقاد , التنوير

This study deals with the problem of tolerance by critical view of loke:

The concept of tolerance is new term appeared in the seventeenth (17th) century by John Locke who considered it a solution for dealing with intole_ rance and persecution forms but this message was a negative and a limited ,but its has a positive side which disting uished by tolerance. The ains of this study that the criticism of tolerance is to achieve the illusion of brute systems which is just a justification of violence.

For a civil society without wars and conflicts , we must publich Freedom and justice.

keywords

Tolerance, freedom, Intolerance, belief, enlightenment